ديوان العرب تقدم لكم

محمد داني

إضاءات في شاعرية سهيل عيساوي

الدار البيضاء : خريف 2008

اللوحات : للفنان الشاعر يعقوب احمد يعقوب

الطبعة الأولى - 2008

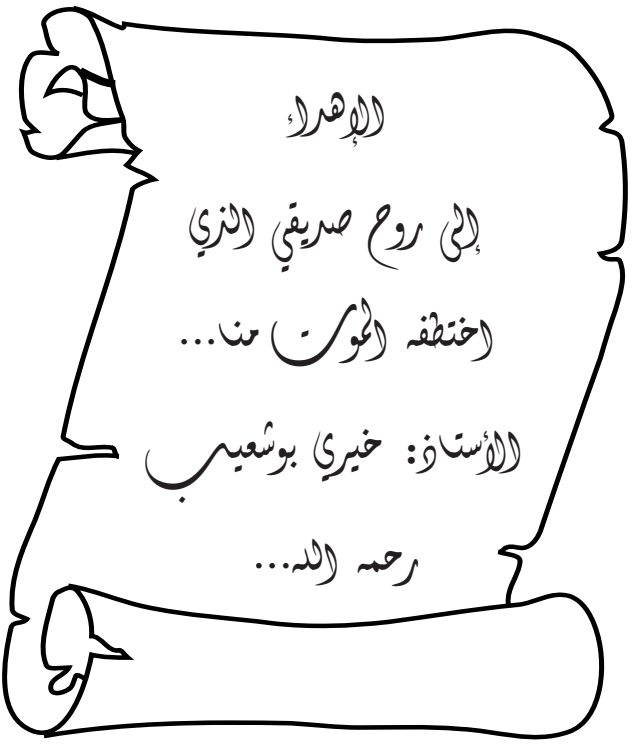
الإهداء
إلى روح صديقي الذي
اختطفه الموت منا...
الأستاذ: خيري بوشعيب
رحمه الله...

مقدمـة

تعد مجموعة(قصائد تغازل الشمس) الشعرية، من الأعمال التي ميزت الشاعر الفلسطيني سهيل عيساوي، ولفتت المتتبعين بكفر مندا إليه. لما تحبل به المجموعة من صور إنسانية صادقة.

وبالعودة إلى هذه المجموعة، نجد فيها صدق الرؤيا، وبراعة الوصف، والتصوير المشهدي، وحداثة الأسلوب، وبساطة اللغة.

من هذا المنطلق، كانت هذه المحاولة المتواضعة(إضاءات في شاعرية سهيل عيساوي)، لقراءة تجربته الشعرية، وتسليط بعض الضوء عليها...

وقد قسمت هذه القراءة إلى ثلاثة فصول. خصصت الفصل الأول ليكون تمهيدا لولوج عالم سهيل عيساوي، وإعطاء فكرة عنه، ولو مقتضبة.

وفي الفصل الثاني، تعرضت فيه إلى الجوانب الإبداعية في شعره، حيث وقفت على الرمز عنده، واللغة الموظفة، وجمالية شعره، وثنائية التشاؤم والتفاؤل في مجموعته، ونظرته إلى الغزل، والجانب الإنساني في شعره.

أما الفصل الثالث، فخصصته لبعض ما كتب عن سهيل عيساوي، وما قيل في شعره.

وأتمنى أن تكون هذه القراءة المتبناة لمجموعة من المناهج النقدية، قد سلطت الضوء على هذا الشاعر الفلسطيني الحداثي، الجميل... وأن تكون فيها بعض الفائدة...وألتمس من الله تعالى التوفيق...

محمد داني

الدار البيضاء، 12/ 9/ 2008

الفصل الأول

سهيل عيساوي: التموقع

1. مدخل

الشعر الفلسطيني راكم كما وفيرا من القصائد الشعرية الرائعة، وضم كثيرا من الأسماء التي صنعت مكانا متميزا في الساحة الشعرية، والثقافية العربية. وأصبحت رموزا في المشهد الإبداعي، والثقافي العربي، بل تجاوزته إلى العالمية.. لما يحمله هذا الشعر من تعبير صادق عن معاناة الفلسطيني، وصرخته الحرقى المعبرة عن آلامه، وعن حقه في الحرية والأرض والحياة.. بل واهتم بصرخة كل عربي من المحيط إلى الخليج...وبذلك تألق الشعر، وتألقت معه الأسماء. وأصبح صوت الشعب، وصوت القضية، وصوت الأمة، والمدافع عنها. ، ومحاولة إسكات هذا الصوت الشعري المتوهج، ووضع الكمامة على فم هذا الشاعر. أن القصيدة الفلسطينية أخطر من قنبلة، وأن الشعر الفلسطيني له فرسان يدافعون به عن القضية، وأنه يثبت الحضور الفلسطيني، والهوية الفلسطينية، والثقافية لشعب يحاول الكثير إقباره، وإلجامه، وترويضه، وتكبيله، وتذويبه.

والقصيدة الفلسطينية واكبت النكبة، بل النكبات، وواكبت تاريخ فلسطين المعاصر. وسجلت بكل موضوعية القضية الفلسطينية. بل واهتمت بالقضايا العربية التي يعرفها العالم العربي والإسلامي اليوم، كغزو العراق، وأفغانستان.

وقد تضمنت حسا ثوريا ينم عن حب صريح للأرض، والارتباط بالأرض، وبشجرة الزيتون، بعيدا عن كل الشعارات والمزايدات.

ومن الأسماء التي دخلت صرح الشعر الفلسطيني، وأبدع فيه، شاعرنا الفلسطيني سهيل عيساوي. إنه مثقف من نوع خاص. ليس ذلك المثقف المختزل إلى وظيفة مزيفة. إنه مثقف يحمل رسالة متعددة المشارب، ومتنوعة الاتجاهات.

لم يعاصر النكبة، ولكنه عاش آثارها، وشهد الانتفاضة، وما والاها من أحداث. كما وجد أمامه شعرا وطنيا فلسطينيا خاصا، يحمل الثورة والشهادة. وكان من المؤمنين بالنشيد الذي كان يردده مع أطفال وأبناء فلسطين، والذي أطلقه الشاعر الشهيد عبد

الرحيم محمود، المستشهد في ثورة 1936، والذي يقول فيه :

سأحمل روحي على راحتي
وألقي بها في خضم الردى
فإما حياة تسر الصديق
وإما مم ات يغيظ العدى
ونفس الأبي لها غايتان
بلوغ المنايا ونيل المنى

ويعتبر سهيل عيساوي من الأصوات الفلسطينية الجديدة، التسعينية- إن صح لنا هذا التحقيب- التي عبرت عن الوطن، وعن القضية... والأمة... شعرا ونثرا وتأريخا.. وقد مارس الشعر والدراسة، والتأريخ، والتربية، والتسيير والتدبير التربوي ...إنه في ظل الأزمات لا يجد ما يفك الغمة عنه إلا الكتابة. وبما أنه يعتبر الكتابة بعد الأزمات تنفيسا، وتفريغا للضيق ، وموتا هادئا لتبدأ بعده حياة جديدة، فإن الكتابة تأخذ دلالة أخرى عنده. إن الكتابة عند سهيل عيساوي تتحول إلى حلم.. والحلم تتحقق فيه المستحيلات..وهي أيضا موت سعيد، وعمر ينقضي في أرض حرة، كلها أعراس.

إنه يؤمن بحياة شعبه، ما دام نهر الحياة دافقا، ... إنه يعبر بالصورة البليغة عن هذا الشعب الذي سلبت أرضه،

وسهيل عيساوي، لم ينس موطنه، ولا مسقط رأسه. بل حنينه متواصل، وعشقه له أبدي.. لم يرحل ولم يفكر في الرحيل.. حبه لمسقط رأسه يشغل عليه كل نفسه، وفكره.

إن شاعرنا، يحمل بين جنبيه ضرا كبيرا.. وحرقة نارها شوى.. لا يريد أن يغترب، لأن التطواف والارتحال لا ينتج عنه إلا التعب النفسي، والبدني. وأينما ذهب وارتحل يحس في قرارة نفسه أنه غريب، بعيد عن الدار. ولا يستحمل هباله- كما يقال- إلا وطنه.

ولا يقف عند هذا الحد، بل نجده يثور، ويصرخ في وجه العربي المعدوم الكرامة، الخانع الفاقد للشهامة، الذي خان وباع القضية..وفضل السمسرة، والوضوء بدم

الأبرياء، والذي اكتفى في الفضائيات بالصراخ المصطنع، والاحتجاج المفتعل، والاعتراض المحتشم..

2. من هو سهيل عيساوي؟

سهيل عيساوي ، شاعر فلسطيني ، من مواليد فجر 15 كانون الثاني (يناير) ، عام 1973، بقرية كفر مندا الجليلية... من أسرة متوسطة الحال...تنتمي لعرب 48 الفلسطينيين. تعلم بمدارس كفر مندا، ثم التحق بعد الدراسة الثانوية بجامعة بن غريون في بئر السبع بالنقب، طالبا بشعبة التاريخ والعلوم السياسية.

وحصل على شهادة الماجستير، فالتحق بسلك التدريس، كمدرس بالمدرسة الثانوية الشاملة، بمدينة رهط العزيزة...

وقد امتاز بالصبر، والتواضع، والمثابرة، والجد، والعمل الجمعوي المثمر. فعمل على خلق حركة ثقافية بالنقب، تولدت عنها نهضة أدبية كان لها الأثر في الجليل، والمثلث.

وقد أسس مع مجموعة من الأدباء، والكتاب المجايلين له، منتدى أدبيا أطلق عليه: »رابطة أقلام الجنوب«، وترأسها. واستطاع في مدة انتدابه رئيسا لها، القيام بالعديد من الأنشطة الثقافية، والأمسيات الأدبية، والأسابيع الثقافية.... وإصدار مجلات وكتب...

وهو يعمل حاليا مديرا لمدرسة ابن سينا الابتدائية بقرية كفر مندا... متزوج، وأب لطفلين، إبراهيم وأحمد.

والشاعر سهيل عيساوي، يعتبر الكتابة ولادة، وطقوسا قدسية. كما يعتبرها – أيضا– ألما، وابتسامة، وأملا متجددا...

يغلب عليه البحث التاريخي على الشاعر.وقد استطاع نشر العديد من المقالات، والدراسات بالعديد من المنابر الصحفية العربية، وبالانترنيت. له موقع إلكتروني باسمه، وهو موقع متميز جدا..وهو:

http ://www .geocities .com /e_sohel/

وله مدونة : http: / /sohelisawi.maktoobblog.com /

3. مؤلفاته:

له مجموعة من المؤلفات، تنيف عن 11 كتابا، تنوعت بين الشعر ، والبحث التاريخي، والخاطرة، والدراسة. وهي كالتالي :

- **وتعود الأطيار إلى أوكارها (شعر).**
- **نظارتي (تأملات).**
- **فردوس العاشقين (شعر وخواطر).**
- **وتشرق أسطورة الإنسان (شعر).**
- **بين فكي التاريخ (بحث تاريخي).**
- **غسان 2000(دراسة).**
- **أوراق متناثرة (خواطر).**
- **قصائد تغازل الشمس (شعر).**
- **ثورات فجرت صمت التاريخ الإسلامي (بحث تاريخي).**
- **النحت في ذاكرة الصحراء (مواقف وذكريات).**
- **معارك فاصلة في التاريخ الإسلامي (بحث تاريخي).**

الفصل الثاني

دخول عالم:
(قصائد تغازل الشمس)

تمهيد:

(قصائد تغازل الشمس)، مجموعة شعرية للشاعر الفلسطيني سهيل إبراهيم عيساوي. وهو صادر عن رابطة أقلام الجنوب، سنة 2003. وهو من الحجم المتوسط، يتكون من 40 صفحة، ويشتمل على 14 قصيدة شعرية.

1. التحليل السيميائي:

إن الشاعر سهيل عيساوي ، من شعراء جيل التسعينيات ، إن جاز لنا هذا التحقيب. فهو ينتمي بشعره إلى الحداثة، وخطابه الشعري يكشف لنا عن ثرائه اللغوي والفكري، ورؤيته للشعر، والشعرية المعاصرة.

إن مجموعته الشعرية(قصائد تغازل الشمس) عمل أدبي، لما يحتوي من مقصدية أدبية أصيلة، خاضعة لشروط ثقافية محددة. ترتبط بالتلقي الجمالي، وتستجيب للتأويل، ولذة القراءة ومتعتها. وبالتالي تجنح قصائدها نحو الشعرية.

والسؤال المطروح، هو: ما أثر هذه المجموعة على قرائها؟. هل لاقت حسن استقبال من طرفهم، أم لا؟. هل شعره تخييلFiction وقول Diction؟، أم قول فقط؟.

وحتى نقف على بناء ودلالية شعر سهيل عيساوي في مجموعته الشعرية(قصائد تغازل الشمس)، لا بد لنا من اجتياز مجموعة من التعبيرات والنبرات والعتبات النصية التي تصاحبه...والتي يمكن تسميتها بالنص الموازي، والذي هو من المتعاليات النصية، والتي: » يشمل شبكة من العناصر النصية والخارج نصية، التي تصاحب النص وتحيط به، فتجعله قابلا للتداول، إن لم يكن وفق مقصدية المؤلف، فعلى الأقل ضمن مسار تداولي لا ينزاح كثيرا عن دائرتها. فالنص الموازي بهذا المعنى يمثل سياجا أو أفقا يوجه القراءة ويحد من جموح التأويل، من خلال ما يساهم في رسمه من آفاق انتظار محددة» (نبيل منصر، الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط2007، 1، ص: 21).

وهذا ما سنتناوله في المجموعة الشعرية(قصائد تغازل الشمس) للشاعر الفلسطيني

سهيل عيساوي، والتي ستساعدنا على توجه قراءتنا، كما ستساعدنا على إضاءة عتمة الالتباس، و جوانب النص.

2. المصاحب النصي(عتبات النص أو النص الموازي):

2. 1. علامات الناشر :

كل المصاحبات النصية هي من إنتاج الناشر، وتحت مسؤوليته المباشرة غالبا : »وهي مصاحبات ذات طبيعة فضائية ومادية، تتعلق بالفضاء الداخلي الأكثر خارجية للنص، هذا الفضاء الذي يتضمن الغلاف، وصفحة العنوان، وملحقاتها، والتحقق المادي للكتاب نفسه»(نبيل منصر، المرجع نفسه، ص : 33).

ومن مصاحبات الناشر **Péritente éditorial** التي نجدها: العلامة المتصلة باختيار حروف الطباعة. فهي حروف طباعية عادية، على ورق بسيط. وهي تشير إلى أن المجموعة ذات طبعة ضعيفة فنيا، وهذا راجع إلى طبيعة دار النشر. وهذا كله يؤثر على المتلقي/ القارئ.

والعلامة الثانية : تتعلق بتفضية العمل. ونقصد به التوزيع الفضائي للنصوص الشعرية. وهذا يبين تقاطع جهود المؤلف/ الشاعر، والناشر.

وقد أصبح المكان يعتبر اليوم : »أحد العناصر الأساسية لعبور الذات باتجاه الفعل النصي وتذويت علاماته» (نبيل منصر، المرجع نفسه، ص : 34). لأن ذلك هو في الواقع جزء من استراتيجية توريط التلقي في بناء دلالية النص. ولذا يقول جيرار جينيت، أنه : »ما من قارئ يمكنه أن يبقى محايدا تجاه طريقة تفضية قصيدة ما، كانت تقدم معزولة على الصفحة البيضاء، محاطة بما يسميه إيلوار بـ «هوامش الصمت» (**Gérard Genette، Seuils، collection poétique، seuil، Paris، 1987، p : 35et36**

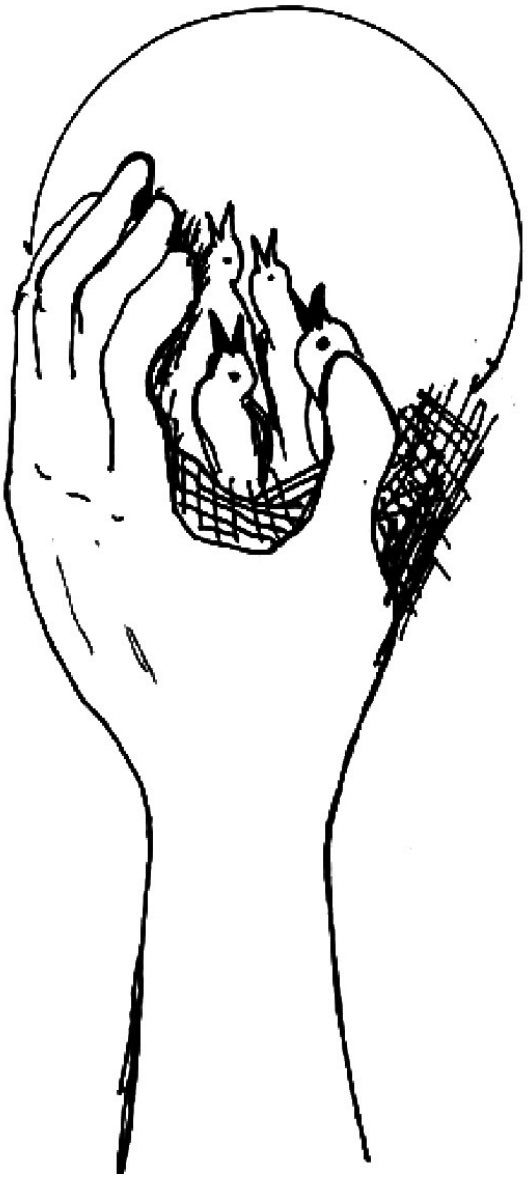

2 .2. اسم المؤلف :

في أعلى الغلاف يوجد الاسم الثلاثي للمؤلف/ الشاعر، داخل مستطيل أبيض مكتوب ب(منطقة النص **zone de texte**)، مع تحديد أجناسية العمل(شعر).

ويعتبر اسم المؤلف ضمن شعرية النص الموازي، والذي يثبت إنتاجية هذه النصوص الشعرية التي تتضمنها المجموعة. كما نقف على وظيفية اسم المؤلف، والتي تتحدد إلى ما سبق في المسؤولية التي تحملها المؤلف فيما يخص نظام خطابه وقيمه.

كما أن هناك نوعا من الالتزامية بقانون حقوق المؤلف ، والتأليف.

كما يمكن أن نستقرئ في وظيفة المؤلف : »وظيفة تصنيفية، تسمح بإعادة تجميع عدد معين من النصوص، وتوحيد إسنادها بحكم انتظامها وفق نظام تأليفي محدد«(نبيل منصر، المرجع نفسه، ص : 37).

واسم المؤلف كما يرى ميشيل فوكو : »يطوف نوعا ما على حدود النصوص، يقطعها ويتبع أضلاعها ويجسد طريقة وجودها(...)، إنه يظهر حدوث مجموعة معينة من القول، ويستند إلى وضع هذا القول ضمن مجتمع ما ، وضمن ثقافة ما« (ميشيل فوكو، ما المؤلف، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد المزدوج 6 و7، ص : 116).

فاسم المؤلف- كما يقول الأستاذ نبيل منصر- هو العلامة المعقدة التي تبين وجود مجموعة من الخطابات من خلال خيوط دقيقة تشكل صراحة أو ضمنا، مبدأ وحدتها الكتابية« (المرجع نفسه، ص : 37 و 38).

2 .3. العنوان كعتبة نصية موازية :

إن العنوان من المفاتيح التداولية التي تتيح للقارئ تفكيك النص، واستنطاق رؤى الشاعر من خلاله، لأنه الوحدة الصغرى لوحدة كبرى (**Lio Hock : La marque du titre، mante، éditeur lalaye، Paris /New York، 1981، p : 52**)

والعنوان مصاحب نصي، وهو جزء من النص، ويحتل العنوان(قصائد تغازل الشمس) مقدمة الغلاف، داخل شكل إهليجي. وهذه الموقعية تعضد سلطة العنوان المركزي،

وتجعل منه دالا أكبر ضمن الجهاز العنواني الذي يحرص الناشر عموما على احترام نظامه.

وهذا العنوان يسعى من خلاله الشاعر سهيل عيساوي إلى التواصل الفني، واستقطاب وجلب القارئ/ المتلقي. فهو له وظيفة تواصلية، وجمالية وتأثيرية ، وإقناعية في نفس الوقت. ويعول عليه الشاعر في خلق نوع من التفاعل ما بين النصوص الشعرية المتضمنة في الكتاب، والمندرجة تحت العنوان الشامل مع القارئ/ المتلقي. وينتظر من هذا المتلقي ترهينا جماليا محددا للنصوص...

والعنوان رسالة يوجهها الشاعر سهيل عيساوي إلى قارئ/ متلق معين، يستطيع أن ينجز قراءة كاملة للكتاب، وهي قراءة خطية تصاعدية، تمتد من أول صفحة الكتاب إلى ظهر الغلاف... »المرسل إليه بالنسبة للكتاب إذن هو القارئ تحديدا. غير أن المرسل إليه بالنسبة للعنوان يتعدى هذه الدائرة الضيقة(القارئ) ليشمل الجمهور بالمعنى الموسع المطروح أعلاه، والذي تساهم كل فئة من فئاته المتنوعة في الرفع من وضعية (وسقف تداوله)(نبيل منصر، المرجع السابق، ص: 44).

ويقول جيرار جينيت في كتابه(عتبات **Seuils**، ص: 73): »يتوجه العنوان إلى كثير من الناس الذين بطريقة أو أخرى يستقبلونه، وينشرونه فيساهمون بذلك في تداوله. ذلك لأنه إذا كان النص هو موضوع القراءة. فالعنوان وأيضا اسم المؤلف هو وسيلة تداول أو إن شئنا موضوع محادثة».

يقول ليو هوك معرفا العنوان: »هو مجموعة من الدلائل اللغوية التي يمكن أن توضع على رأس نص لأجل تعيينه، وتحديد مضمونه العام. وأيضا لأجل جذب الجمهور المستهدف».

وهذا العنوان الذي أثبته الشاعر سهيل عيساوي ، واختاره لمجموعته الشعرية، يقوم بوظائف ثلاث، وهي:

- تحديد هوية العمل.
- تعيين مضمونه.

- إبراز قيمته(الإغرائية، والتحريضية على القراءة).

ومن خلال العنوان نميز نوعيته. فهو من العناوين الموضوعيةobjectaux التيماتية Thématiques، تحيل على مضمون النصوص المتضمنة في الكتاب، وبالتالي يقوم عنوان الشاعر سهيل عيساوي ب :

- وظائف تحديدية.
- وظائف تعريفية.
- وظائف إيحائية.
- وظائف وصفية.

بالإضافة إلى الوظائف الإغوائيةF. Séductive.

وهذا يدل على أن المجموعة الشعرية تحمل بين طياتها بعدا أيقونيا ، يرتبط بالوظيفة الفكرية للعنوان، وهي التعلق بالحرية، والانعتاق، ونبذ الظلم، والعدوان، والعنف، والهمجية.

2 .4. الإهداء كنص موازٍ :

يقول الأستاذ نبيل منصر في كتابه السابق، أن الإهداء هو أحد الأمكنة الطريفة للنص الموازي التي لا تخلو من أسرار ، تضيء النظام، والتقاليد الثقافيين لمرحلة تاريخية محددة. فيما تعضد حضوره وتؤمن تداوليته. أسرار تصبح مضاعفة، عندما تتعلق بتحولات الإهداء ذاته، في علاقته بمحافله الثقافية(مرسل الإهداء، والمهدى إليه)، وبالسياق الثقافي والتاريخي لفعل الإهداء. (المرجع نفسه، ص : 48).

والإهداء الموجود بالمجموعة الشعرية(قصائد تغازل الشمس)، هو إهداء رسمي ، مطبوع يتصل بطبعة الكتاب ذاتها.

وهذا الإهداء عندما نقف على محتواه، نجده كرسالة إهداءEpitre dédicataire.

وهذا الإهداء هو عام، حيث يهدي من خلاله الشاعر سهيل عيساوي عمله الشعري هذا إلى كل من يرتدي ثوب الشمس، وإلى كل متحرر، أو باحث عن الحرية...إلى كل

الذين يعشقون السير في النور، ويكرهون ظلام الأنفاق والسراديب...و إلى كل محبي السلام.

2 .5. عتبة المقدمة :

الخطاب المقدماتي يعتبر من المصاحبات النصية، ويصنفه بعض النقاد أمثال كونداك داخل : »الجنس الديداكتيكي»، لما يتضمنه من حس، ونفس تربوي ، وتعليمي...

ويطلق الخطاب المقدماتي على كل نص استهلالي ذاتي **Auctorial**، أو غيري **Allographe** ، يرافق النص ويتقدمه. ويؤكد الأستاذ نبيل منصر في كتابه السابق-(الخطاب الموازي)- أن الخطاب المقدماتي تتشاركه أجناسية أخرى، منها :

- المقدمة**préface** .
- التمهيد **introduction.**
- التوطئة **avant- propos.**
- الفاتحة **prologue.**
- الإشارة**note** .

ورغم أنها مرادفات موازية **parasynonymes.** فهي تختلف عن بعضها البعض بفروقات دقيقة، تميز بعضها عن بعض.

والخطاب المقدماتي الموجود بالمجموعة الشعرية(قصائد تغازل الشمس)، ذو صيغة سردية، يتخذ مكانه من الكتاب، وهو التقديمات حيث يتقدم العمل، ويمهد لقدومه.

ويمكن اعتبار هذا الخطاب المقدماتي الذي تصدر العمل الشعري للشاعر سهيل عيساوي قراءة نقدية أولية لهذا العمل الشعري، ورؤية خاصة من كاتبها للتجربة الشعرية للشاعر سهيل عيساوي، والمتضمنة في هذه المجموعة الشعرية.

وهذه المقدمة هي مقدمة غيرية **préface allographe** ، قام بها الشاعر الفلسطيني صالح زيادنة، والذي يسلط بعض الضوء على مضمون هذه المجموعة الشعرية ليجعل المتلقي/ القارئ في حالة استعداد لاستقبالها. كما يهدف من هذه الإضاءة أن يتحمس

القارئ/ المتلقي من بعض المعلومات التي تؤمن قراءة جيدة لهذه المجموعة الشعرية. وهذه المقدمة تنهض بوظيفة التزكية النصيةF. de recommandation(Gérard Genette، ibid، p : 247).لأجل إعطاء المجموعة الشعرية المقدم لها قوة تداولية في فضاء المؤسسة الأدبية(نبيل منصر، المرجع السابق، ص: 77).

إن هذه المقدمة هي في الواقع وجهة نظر يسجلها الشاعر صالح زيادنة يضمنها رؤيته لشعر سهيل عيساوي في هذه المجموعة، وموقفه منها.كما يبين المواضيع التي تضمنتها المجموعة الشعرية، مع إعطاء رأيه، وانطباعه حول الإيقاعية الشعرية في شعر سهيل عيساوي.

2. 6. عتبة اللوحة والرسم :

وتحتوي المجموعة الشعرية(قصائد تغازل الشمس) على 14 قصيدة. وقد تصدرت هذه المجموعة لوحة الغلاف. وهي باللونين الأحمر والأسود، وهي للفنان الشاعر يعقوب أحمد يعقوب.

وقد جاءت هذه اللوحة معبرة، وإيحائية. فهي عبارة عن مبان ذات قباب، ورأس وبندقية، ويد تمسك بالشمس.

وهذا الرسم يفتتح النصوص الشعرية،ويتمركز في وسط الغلاف. وهو بذلك مدخل للشعر، وطريق إلى اللغة الشعرية.

وهي في الواقع كتابة تشكيلية توحي بمضمون المجموعة الشعرية، وتلخص دلالاتها... ولو أن هذه اللوحة تفتقر إلى الألوان المشهية، والمغرية بالقراءة.

إن اللوحة المتصدرة الغلاف، تشارك هي بدورها في إنتاج المعنى: »وبذلك فإن هذه التشكيلات لا تقف عند حدود قول ما تحاول النصوص قوله، بل تشكيلات فنية تنطلق من تجربة إبداعية تزيد النصوص عمقا ودلالة، عبر التقاطع والتقابل والتكثيف، مما يجعلها تستحق التأمل»(علي آيت أوشان، ، الذاكرة والصورة، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2005، ص: 16).

ذات صباح
التقينا هنا
واحد كذلك
وقد اعتقلت
سنة ١٩٦٧ ميلادية
وابراهيم ومحمود وخالد جميعا
والتقيت هنا
أمانه
بالشهيد
أمانه !!
علي مات هنا...
ماذا بعد !
الحرية
١-٢-٣-٤-٥-٦

»ويمكن أن نعتبر الغلاف من الكتاب بمنزلة الوجه من الجسد. إذ هو الفضاء الذي تتمظهر فيه الملامح البارزة، والقسمات والسمات، فهو الباعث الأول على استحثاث الخطو والإقبال ، أو الإعراض. لذلك فإن العناية بتجويده، وإخراجه على الوجه الحسن من الإجراءات الجمالية الضرورية والملحة« (الغزالي، (عبد القادر)، الصورة الشعرية وأسئلة الذات، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 2004، ص: 17).

وهذا ما يؤخذ على الشاعر، وعلى الدار الناشرة، لأنهما لم يهتما جيدا بإخراج الكتاب في حلة جميلة.

والصفحة الأخيرة، - أي ظهر الغلاف- بيضاء، لا شيء فيها. وكما يؤكد جيرار جينيت منبها، أن ظهر الغلاف هو موضع ضيق ولكنه له أهمية استراتيجية ظاهرة، يحمل في الغالب باسم الكاتب وعلامة النشر التجارية، وعنوان الأثر(Gérard Genette، Seuils، édition du seuil، Février، 1987، p :29)

وهذه العناصر كلها غير مثبتة على ظهر غلاف المجموعة الشعرية (قصائد تغازل الشمس)، بل هو فارغ كما أسلفت.

2. 7. لون الغلاف:

اللون ظاهرة نورانية ، بصرية تمكن الكائن الحي من التمييز بين الأشياء. ولولاه لكانت متطابقة. وهو يثير سلبا وإيجابا الانفعالات النفسية والعاطفية. (فاطمة الزهراء شلبي، النزعة الوطنية الثورية وأساليبها الفنية في القصيدة العامية، بحث لنيل شهادة الماجستير في الأدب الحديث، تخصص شعبي، تحت إشراف الدكتور معمر حجيج، س- ج: 2006/ 2007، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، ص: 47).

و»لون غلاف أي كتاب أو ديوان يعد العتبة الأولى من عتبات النص، فتدخلنا إشاراته إلى اكتشاف علاقات النص بغيره من النصوص« (حسن محمد حماد، تداخل النصوص في الرواية العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1988، ص: 148).

ولون الغلاف ظاهرة فنية، جمالية تواصلية، بين الشاعر والمتلقي. تساهم في نقل

الدلالات الخفية، والأبعاد المستترة في النفس البشرية(نافع، (عبد الفتاح)، جماليات اللون في شعر ابن المعتز، مجلة التواصل، 4 جوان(يونيه) 1999، ص: 125).
وهو لغة خاصة تداولية، تواصلية، إبداعية، لأن اللون هو ذلك التأثير الفيزيولوجي الناتج على شبكية العين، سواء كان ناتجا عن المادة الصباغية الملونة، أم عن الضوء الملون (فاطمة الزهراء شلبي، المرجع نفسه، ص: 47).
والشاعر سهيل عيساوي اختار اللون الأحمر، رمزا للمجموعة الشعرية(قصائد تغازل الشمس)، للدلالة على الحرية، والدم، والانعتاق، والاستقلال، والفداء.
وقد كتب العنوان داخل إطار إهليجي – كما أسلفت– بخط أسود بارز. لأن العنوان دليل النص، وهويته. ولذا كتب بخط واضح، وكبير، ليفتح للقارئ آفاقا نحو الديوان، ويبرمج القراءة مسبقا كدليل، وكمنارة تهدي الساري. ولذا قيل: أول الشيء مفتاحه (فاطمة الزهراء شلبي، المرجع نفسه، ص: 48).
وهذا اللون، لون رجالي خاص. ويطلق على الشهادة، والفداء، والحرية، والاستقلال، ومجاهدة الظلم، والجور، والعنف والعدوان.
كما يدل على الإثارة، والهيجان، والثورة. وهو يجلب النظر.
وهو لون نوراني. كما أنه يخفي جمالا خاصا...ولذا امتاز به الغسق، والورد، والحب، وأصبح لون المحبين، والعاشقين. ولذا تطابق اللون مع دلالة العنوان. فعبر عن المغازلة، والوله للحرية، والتحرر.
ولان هذا اللون من ألوان اللذة البصرية التي تبهج النفس/ مما يوجب الراحة، ولذة القلب، وسرور العقل، ونشاط الذهن، وتوفر القوة وانبساط الروح. مما يجعلها دالة على الفعل الثوري التحرري.(فاطمة الزهراء شلبي، المرجع نفسه، ص: 49).

2. 8. علامات الترقيم:

إن لعلامات الترقيم أبعادها الصوتية، والتركيبية، والدلالية والتداولية. وهي تساعد على التعيين والإيحاء. كما أنها تساهم في بنائية النص الشعري.

والشاعر سهيل عيساوي يستعمل علامات الترقيم في نصوصه الشعرية لأنه يعي أهميتها، ودورها الإيقاعي، والدلالي.

وفي مجموعته الشعرية(قصائد تغازل الشمس)، نجد الشاعر سهيل عيساوي استعمل علامات الترقيم التالية :

- (...) نقط الاكتفاء، تكررت 8 مرات.
- (؟) علامة الاستفهام. تكررت مرتين.
- (!)علامة التعجب. تكررت 3 مرات.
- (.) النقطة، الوقفة. تكررت 6 مرات.
- (..) النقطتان المتجاورتان علامة على الحذف. تكررت 8 مرات.
- (»») القوسان، المزدوجان، تكررت مرة واحدة.

كما نلاحظ تغييبا لعلامات ترقيمية أخرى، كالفاصلة، والنقطة الفاصلة ، والنقطتين. وهذا راجع إلى طريقة الشاعر سهيل عيساوي في الكتابة...

كما أن : »لغة الشاعر تتميز بالانسياب والانفتاح، ومحو الفواصل، وإن كان بالمقابل يجنح إلى الوقفة، فهذا لا يعني اكتمال المعنى، وتحققه، نظرا لأن هذه الوقفات لا تمتلك سلطة منطقية، أو قيدا على لغته الشعرية. إنها لازمة ليس إلا. فهو حين يكتب فإنه يمارس فعل الكتابة كما يعيشه. لأنه لا يعرف حدودا لما يكتبه. إنه قلق الكتابة الذي يعبر عن حاجيات الذات المتباينة» (علي آيت أوشان، المرجع نفسه، ص : 23).

2. 9. لعبة السواد والبياض :

عندما نتعامل مع المجموعة الشعرية بصريا من خلال القراءة، فإننا نقف على البعد المكاني لنصوصها، حيث نجدها تخضع لقانون تشكيلي خطي/ كتابي معين، هو وليد وعي الشاعر الخاص، ورؤيته للمعاني والصور الشعرية. وبالتالي القصائد في هذه المجموعة الشعرية، الفضاء المكاني فيها يمتد ويتقلص تبعا للصورة التي يبحث عنها الشاعر، وتبعا للمعنى الذي يريد.

هكذا مثلا في قصيدته(كلمة صغيرة إلى طفل كبير)، نجد المكان يتسع، والسواد ينتشر فيه، ويمتد ليشمل تقريبا كل الصفحة:

آه...آه...

لو تقاسم كل عربي ذرة من جبل آلامك

لأورقت على شفتيك ابتسامة خضراء

لأطلت من آخر النفق القديم شمعة برأسها

لما انتصبت من مقلتيك دمعة طاهرة

انشق في قلبي جرح بعمق دجلة وبطول الفرات

يعانق الجراح العتيقة

قتلوا اهلك.. واغتالوا الإنسانية المصلوبة فينا

وفي قصائد أخرى يتقلص هذا السواد ليفتح المجال للبياض لينتشر ويتسع. كما في قصيدته(وداعا يا إبراهيم)، حيث يقول فيها:

رحلت...

وفي فم الزمان ألف سؤال

يا فارسا

غاب إلى أمه الأرض

التي رضع الصلابة

من ترابها

وفي غرف التحقيق المظلمة

كانت تهطل أسئلة المحققين الغلاظ

عن هويتك التي لا تتبدل

إن الشاعر يشكل العالم من خلال الكتابة، كما يراه هو، وكما تتحدد معانيه وصوره في

ذهنه... والامتداد والتقلص مرهونان بالحالة النفسية للشاعر، وهي في حالة مخاض، وولادة أو على الأصح في حالة قلق شعري.

3. التجربة الشعرية لدى الشاعر سهيل عيساوي

عندما نعود إلى الشعر والتجربة الشعرية لدى سهيل عيساوي، تدفعنا الرغبة إلى البحث في تاريخية هذه التجربة...

لقد فهم النقاد القدامى التجربة على أنها الصنعة التي تخلق القصيدة. فقد قال ابن طباطبا العلوي: «فإذا أراد الشاعر بناء قصيدة مخض المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثرا، وأعد له ما يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه، والقوافي التي توافقه، والوزن الذي سلس له القول عليه. فإذا اتفق له بيت يشاكل المعنى الذي يرومه أثبته وأعمل فكره في شغل القوافي بما تقتضيه من المعاني» (ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تحقيق ، د. عبد العزيز بن ناصر المانع، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، 1985، ص: 8).

ويقول أبو هلال العسكري: «إذا أردت أن تصنع كلاما ، فأخطر معانيه ببالك، وتتوق له كرائم اللفظ، واجعلها على ذكر منك ليقرب عليك تناولها، ولا يتعبك تطلبها. واعمله ما دمت في شباب نشاطك فإذا غشيك الفتور، وتخونك الملال فأمسك، فإن الكثير من المال قليل، والنفيس مع الضجر خسيس، والخواطر كالينابيع يسقى منها شيء بعد شيء. فتجد حاجتك من الري، وتنال أربك من المنفعة. فإذا أكثرت علها نضب ماؤها، وقل عنك غناؤها» (أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تحقيق، علي محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا ، بيروت، 1986، ص: 133).

ويقول مرشدا الشاعر إلى كيفية عمل الشعر وصناعته: «وإذا أردت أن تعمل شعرا فأحضر المعاني التي تريد نظمها في فكرك، وأخطرها على قلبك. واطلب لها وزنا يأتي فيه إيرادها، وقافية يحتملها. فمن المعاني ما تتمكن من نظمه في قافية، ولا تتمكن منه في أخرى»(المصدر نفسه، ص: 139).

ويقول بشر بن المعتمر: »خذ من نفسك ساعة نشاطك، وفراغ بالك، وإجابتها إياك.

فإن قليل تلك الساعة أكرم جوهرا وأشرف حسبا، وأحسن في الأسماع، وأعلى في الصدور، وأسلم من فاحش الخطأ، وأجلب لكل عين وغرة من لفظ شريف، ومعنى بديع» (الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1985، ج1، ص: 135).

ويقول حازم القرطاجني عن التجربة محددا أبعادها انطلاقا من التخيل: »إن للمخيلين في التخيلات التي يحتاجون إليها في صناعتهم أحوالا ثمانية، لكل واحدة منها في زمان مناولة النظم مرتبة لا تتعداها.

(الحالة الأولى): يتخيل فيها الشاعر مقاصد غرضه الكلية التي يريد إيرادها في نظمه.

(الحالة الثانية): أن يخيل لتلك المقاصد طريقة وأسلوبا أو أساليب متجانسة، أو متخالفة ينحو بالمعاني نحوها، ويستمر بها على مهايعها(طرقها).

(الحالة الثالثة): أن يتخيل ترتيب المعاني في تلك الأساليب. ومن أهم هذه التخيلات موضع التخلص والاستطراد.

(الحالة الرابعة): أن يتخيل تشكل تلك المعاني وقيامها في الخاطر في عبارات تليق بها ليعلم ما يوجد في تلك العبارات من الكلم التي تتوازن، وتتماثل مقاطعها ما يصلح أن يبني الروي عليه.

(الحالة الخامسة): أن ينزع الشاعر في تخيل المعاني معنى معنى بحسب غرض الشعر.

(الحالة السادسة): أن يتخيل ما يكون زينة للمعنى وتكميلا له. وذلك يكون بتخيل أمور ترجع إلى المعنى وبعض، وبأشياء خارجة عنه مما يقترن به ويكون عونا على تحصيل المعنى.

(الحالة السابعة): أن يتخيل لما يريد أن يضمنه في كل مقدار من الوزن الذي قصد، عبارة توافق نقل الحركات والسكنات، بعد أن يخيل في تلك العبارات ما يكون محسنا لموقعها في النفوس.

(الحالة الثامنة): أن يتخيل في الموضع الذي تقتصر فيه عبارة المعنى عن الاستيلاء على جملة المقدار المقفى، معنى يليق أن يكون ملحقا بذلك المعنى، وتكون عبارة المعنى

الملحق طبقا لسد الثلمة التي لم يكن لعبارة الملحق به وفاء بها» (حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق، محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، 1966، ص: 109- 110).

و»التجربة الصورة الكاملة النفسية، أو الكونية التي يصورها الشاعر حين يفكر في أمر من الأمور تفكيرا ينم عن عميق شعوره، وإحساسه، وفيها يرجع الشاعر إلى اقتناع ذاتي، وإخلاص فني، لا إلى مجرد مهارته في صياغة القول ليعيش بالحقائق أو يجاري شعور الآخرين. بل ليغذي شاعريته» (د. غنيمي هلال، (محمد)، النقد الأدبي الحديث، دار الثقافة، بيروت، 1973، ص: 383). وبذلك تكون التجربة الشعرية على وجه الخصوص: »لحظة انفعالية تمتلك على الشاعر كيانه وتهزه من الداخل حتى لا يجد سبيلا إلى الصمت، فيبث انفعاله وصوت إحساسه الذي يحمله آثار تجربته رسالة يجد المتلقي فيها صدى تجاربه الخاصة» (إبراهيم، (عبد العزيز)، شعرية الحداثة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005، ص: 15). وبذلك تكون التجربة الشعرية على وجه الخصوص: »لحظة انفعالية تمتلك على الشاعر كيانه ، وتهزه من الداخل حتى لا يجد سبيلا إلى الصمت. فيبث انفعاله وصوت إحساسه الذي يحمله آثار تجربته رسالة يجد المتلقي فيها صدى تجاربه الخاصة» (عبد العزيز إبراهيم، المرجع نفسه، ص: 21).

ولما كانت خاضعة للفرد يعيشها ويحاول أن ينجح في إيصالها إلى الآخرين قصيدة، فإن التجربة ستكون ، ولا شك متفاوتة ومتنوعة تحمل خبرة ، وتنقل إلى الآخرين هذه الخبرة الإنسانية (عبد العزيز إبراهيم/ المرجع نفسه، ص: 21).

ويقول الدكتور محمد غنيمي هلال: »وليس معنى التجربة الذاتية أنها مقصورة على الحدود المعبر عنها، بل هي إنسانية بطبيعتها. إذ أن جهد الشاعر منصرف إلى التعبير عن مشاعره بعد أن يتمثلها، وهو لا يحاول نقلها على حالتها الطبيعية، وإلا ندت عن حدود الأدب والشعر. وهو يراها بفكره، ويتأملها ويحولها إلى مادة تعبيرية عن جهاد وعمل، لا عن مجرد استسلام للخيال . ولذلك تراه يشترط في التجربة كي تمتلك مبرر وجودها شرطين ، هما: الأفكار والخواطر المجردة. وهي بطبيعتها لا شعورية، ثم العملية

الشعرية نفسها التي تقوم على وضع هذه الأفكار في قوالب خاصة» (د.محمد غنيمي هلال، المرجع نفسه، ص: 384).

إن الشاعر سهيل عيساوي يتمثل التجربة، ويعيشها بصدق. فنجده ملتزما بالواقع وقضاياه. إنه يعيش آلام المجتمع، ومعاناة الأمة. وهذا يبين أن الشاعر سهيل عيساوي كان يحيا عصره بكل أبعاده: السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية. ولذلك يغلب في شعره المؤرخ أو التاريخي، على الشاعر أو الشعري.

إنه آلة تصوير ينقل لنا ما يشاهده دونما مساحيق، أو رتوشات. ولذا جاءت تجربته الشعرية واضحة في طريقتها ولغتها.

إنه يأخذ بمذهب (مارينتي) الذي »تبنى فكره إيجاد فن جديد للمفردات لا يعترف بقواعد اللغة، والفواصل، ويكون من شأنه شحن النفس بطاقة رائعة، والتعبير عن العالم المتحضر. وكان يحس بأن الشعر قد اختنق بماضيه وأعلن نفوره من كل ما هو قديم ومألوف. كما أعلن حبه الجديد وغير المتوقع» (س.م.بورا، التجربة الخلاقة، ترجمة، سلافة حجازي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ص: 19).

وهو يؤمن في قرارة نفسه بأن شرط الإبداع أو التجديد هو أن تلائم التجربة هذا الإبداع فيكون ناتجا لها.

وتجربة الشاعر سهيل عيساوي ما زالت في بدايتها، لم تصل بعد إلى حد النجومية، ولا تحتل مكانة متميزة في المشهد الشعري الفلسطيني.

لكن خصوصياته يمكن استخلاصها من الموضوعات التي يتناولها، ومدى انعكاسها على شعره، والبحث عن كيفية تشكيله القصيدة، وتحديد مستوياتها...

إننا أمام شاعر فلسطيني له طريقته الخاصة في الكتابة الشعرية، وهي جزء من الشعر الفلسطيني المعاصر. نجد فيه اهتمامه بالجانب الإنساني والسياسي العام... ولو أن شعره تغلب عليه المباشرة، والتقريرية، والنثرية... والملاحظة التي يجب الإشارة إليها، أن شعر سهيل عيساوي لم يواجه نقدا بالمرة، ولم تتعرض له أية دراسة بشكل موضوعي...

إن الشاعر سهيل عيساوي يسعى في مجموعته الشعرية، وفي جل قصائده إلى خلق نصية شعرية مغايرة ، في صوتها، وصمتها، وفنيتها، وجماليتها... وهذا يعطينا حدود تجربته الشعرية، ومداها... فنجد في نصوصه المتضمنة في المجموعة(قصائد تغازل الشمس)، التبسيط، والوضوح، وتتوالى التشكيلات الشعرية بدون لبوسات، أو مساحيق جمالية...فنتف تشكيله الشعري، وبناؤه التخييلي يتأسس على المعتاد لا المبتكر... مع تطويع جميل للغة، وانفلاتاتها الإيقاعية.

وهذا يجعلنا نقول ، وبكل موضوعية، أن تجربة الشاعر سهيل عيساوي لا تجديد فيها. ولا تضيف جديدا إلى ما هو مألوف ومعروف: »فالشاعر يطل على موجوداته من عل محملا إياها نثارات قراءته المسبقة على الحالة الشعرية دونما التفات إلى المساحة الداخلية للتشكيل وتوسعاته الأفقية» (محمود السرساوي، مجلة الموقف الأدبي، العدد 424، آب 2006).

وأمام هذا تستلفتنا الصعودات والهبوطات في التشكيل الشعري عند سهيل عيساوي، مرتبطة بالخبرية، والسردية والتبسيط، معتمدا في ذلك على ذاكرته ومحمولاتها، ومشاهداته، والتي تكون الخلفية المرجعية لقصائده.

والجميل عند الشاعر سهيل عيساوي، هو أنه في كل قصائده يتخفف من أثقال التقفية، ونهايات السطر الشعري. وهو واع بغلبة سردية النثر على إيقاعية الشعر في شعره.

فسردية النثر لا تقوم عنده إلى جانب الكثافة الشعرية، وبالتالي يرتفع المشي السردي، وينعدم الرقص الشعري، فينحصر الشاعر سهيل عيساوي في منطقة خارج الشعر وجنونه.

وهذا يدفعنا إلى التساؤل: هل هذا نوع من التقشف الشعري ، والجمالي عند الشاعر سهيل عيساوي؟.

إن الشاعر سهيل عيساوي يعرف أن الشعر: »فن إيجاز وإيحاء، ويفترض في السامع قدرا وحطا من الذوق !...إنه ليس طعاما يقذف في الفم، ولكنه مفتاح تحرك به موسيقى النفس. فلا بد إذن أن تكون النفس مستعدة له، وأن تكون قد هذبت أوتارها، قبل أن تتهيأ

للمفتاح» (الحكيم، (توفيق)، فن الأدب(نظرية الشعر)، ج5، منشورات وزارة الثقافة السورية، ص: 114).

إن الشعر عنده، تصوير للواقع... تصوير لواقع موبوء...وعندما يفتقر إلى الجرأة في هذا التصوير، يلجأ إلى الترميز، والصورة...

4. الرمز في شعر سهيل عيساوي

الشعر نفحة الروح، وخفق الفؤاد، واهتزاز أوتارها. وهذا يعيه الشاعر الفلسطيني سهيل عيساوي جيدا.

يعرف أن الشعر احتراق لولادة القصيدة... واحتراق لبعث النور، وإضاءة الآفاق، وجعل مكامن النفس مشعة، وضاءة... لامعة، ومشرقة...

إنه يعرف أن بالشعر تحول الحياة ألوان قوس قزح... إنه ينسج من أحاسيسه وعذاباته طيورا...ولوحات رائعة تدخل البهجة إلى النفس...

إنه يتوسل هذه الأشياء باللغة... اللغة التي يعرف أنها وسيلته إلى مطية الجمالية، والفنية والشعرية، في كل أبعادها.

إنه يبتعد في شعره عن اللغة اليومية، وعن التعبير العادي. إنه يتوسل اللغة للارتقاء بمشاعره وأحاسيسه.

وعندما نترصد هذا الشعر، وهذه اللغة، نجدها ترشح رمزا يتخذه ليعلو بشعره إلى الفنية، والجمالية. وجعل المتلقي يحس بالكلمة الجميلة، والصورة المعبرة. والغاية التي يريد التعبير عنها، والنتيجة التي يريد أن يصل إليها.

وإلى جانب هذه الفنية في استعمال الرمز والإيحاء وتوظيفه، استطاع أن يغري القارئ/ المتلقي بالانتباه إلى روحه الكامنة في هذه اللغة ، التي يبدعها أو بعبارة أصح أن ينتبه إلى شعره...ويحاول تتبع قسماته، ونفحاته للوصول إلى اللوحة التي يشكلها سهيل عيساوي، ويريد أن يعيد القارئ/ المتلقي تكوينها للوقوف على جماليتها، وفنياتها. والوقوف – أيضا- على هذه الروح الشاعرة، التي تطرز شعر سهيل عيساوي...

إن الشاعر عيساوي يجعل من الرمز الموظف في شعره وقصائده، نوعا من الحلم. حلما سهل الولوج. لا يستعصي على المتلقي/ القارئ دخوله، ولا ركوبه. إنه حياة بدون مركبات نقص، وبدون عقد.

وهذا يجعلنا نقف على حقيقة قوية الإشارة في الشعر الرمزي عند الشاعر سهيل عيساوي. وهي: أنه لا يلجأ إلى الرمز لإعادة مدلولاته، ولكنه يستعمله ليقوي به حجته الشعرية... ويقوي به مشاهده، وليعطيها نوعا من التأثيرية، والفاعلية، والهدفية المباشرة.

إن الرمز يعطي لهذه الصور الموظفة عمقها... ويبعث فيها الحياة... ويجعلها واضحة، ومشاهدة من طرف الجميع... وبالتالي تكون النتيجة أكيدة، وهي: انصهار المتلقي/ القارئ مع الحقيقة الشعرية في شعر سهيل عيساوي.

إن الرمز يسهل التجسيد، والتشخيص، وإظهار المستور...ومن هنا نفهم من خلال إصرار الشاعر سهيل عيساوي على توظيف الرمز في شعره، أنه يعي جيدا وظيفة الرمز الأساسية في الشعر المعاصر.وهي: »الإيحاء بالصور ، والمعاني، للوصول بالمتلقي إلى حالة شعرية لذيذة توحي بامتلاك المعنى« (د. غسان غنيم، مجلة الموقف الأدبي، ع 406، شباط 2005).

إنه يدفع بالمتلقي/ القارئ إلى التأويل والاستحضار، والتمثل، والاستدعاء، والتشخيص، والتمثيل، والتفسير. وهذا يخصب اللغة، ويوسع آفاقها التأويلية، ويكثر من سيناريوهاتها... وينير الكهوف المظلمة التي رصدت في القصيدة. فتنار فجواتها... وبالتالي يقف القارئ/ المتلقي الذي دخل عوالم هذا الرمز إلى أسرار القصيدة، وإلى ما تريد تجسيده.

إن الرمز يساعد على استكناه المعاني، والوصول إلى كثير من الاحتمالات والتمثلات...وبالتالي الوصول إلى الشعرية الكامنة في هذه اللغة الشاعرة من خلال انزياحاتها الفنية، وتداخلاتها اللغوية.

وعندما نقف إلى هذا الرمز الموظف ، نجده ينقسم إلى نوعين:

1. **الرمز الديني:** والذي يعطي للقصيدة بعدا دينيا، وقدسيا. كما يعطيها بعدا

إنسانيا واسعا، غنيا بالدلالات، والعبر، والإيحاءات والتأويلات. بالإضافة إلى حمله لمجموعة من القيم والمواقف، والاتجاهات، والتي يكون لها التأثير الفعال، النفسي، والقيمي، والأخلاقي، وحتى الجمالي على المتلقي/ القارئ.

2. **الرمز التاريخي:** والذي يهدف من ورائه حث الهمم، واستخلاص العبر، والمواقف. بالإضافة إلى أنها تخصب النفس، وتثير عواطفها وأحاسيسها، وتدفع بالقارئ/ المتلقي إلى اتخاذ موقف معين...

بالإضافة إلى أنها تخصب النفس، وتثير عواطفها وأحاسيسها، وتدفع بالقارئ/ المتلقي إلى اتخاذ موقف معين...

بالإضافة إلى ما تحبل به من مواقف إنسانية، وحوادث وشخصيات قدوة. أو تدفع إلى المطابقة، والمقارنة، والاحتمال، والاستنتاج...

ومن هنا نجد الشاعر الفلسطيني سهيل عيساوي في شعره يستعمل الرمز... ويسعى إلى استخدامه لإعطاء شعره نوعا من الانعكاس التاريخي/ الواقعي...

إنه ينتقل بشعره من الشعرية والجمالية، والفنية ، إلى توكيد الواقع والحقيقة... وبالتالي شعره يقدم الفكرة أو الموضوع المسند إلى الحجة، والبينة.

ومن هنا نجد كثيرا من الرموز في مجموعته الشعرية (قصائد تغازل الشمس) من مثل: (المعتصم- الحسين-هولاكو- رامبو-الروم-الفرس- سور الصين- ابن سينا- الرازي- ابن حيان- عشرة من سيوف قريش- فارس- ذو الفقار- علي بن أبي طالب- بنت عدنان- وقعة الجمل- صفين- النبي يوسف عليه السلام).

وهي كلها رموز حابلة بالدلالات، والمعاني والقيم، والإحالات، والاستحضارات التاريخية...

ومن هنا نجده قد استعمل هذا الرمز(أو الرموز) بفنية كاملة، وبالتالي أعطى لشعره صورة فنية كبيرة...ورفع شعره إلى جمالية الصورة، ومرجعياتها الثقافية، والتاريخية والدينية.

»وقد استعمل الشعراء العرب المعاصرون الرمز، فأبدع معظمهم لوحات فنية متكاملة،

ومنحوا للشعر العربي أرقى صور الإبداع الفني، حتى أوصلوه إلى العالمية، منافسا أرقى الشعر العالمي...وقد جروا في استعمالهم الرمز، وفق أساليب متنوعة أغنوا بها الشعر المعاصر، ورفعوه وارتفعوا به إلى آفاق الإبداع والفن».(د. غسان غنيم، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد 406، شباط 2005).

والشاعر سهيل عيساوي واحد من هؤلاء الشعراء العرب الذين وظفوا الرمز، وأجادوا التوظيف والاستعمال...وهو من المولعين بالرمز وتوظيفه في الشعر، لأنه في نظره حلية القصيدة، وجزء من جمالها، وسحرها...

وعندما نتوقف إلى قصيدة(حين هوت بغداد)، يستلفتنا اسم (بغداد)، و(سامراء)، و(كربلاء)، و(الحسين).

فبغداد كرمز للعروبة، والأمة العربية، يجعلنا نطابق بين حال بغداد وما تعرفه من تطاحنات، وما تعرفه من انفجارات، وتدخل سافر للقوات الأمريكية، وحال الأمة العربية من المحيط إلى الخليج يدمي القلب.

إن التشابه لصيق، وكبير جدا...لما تعرفه الحالتان من تشابه في اندحار القيم، والأمن، والشعور بالذل والخزي، والصغار... والضعف والانحلال.

كما أن(المعتصم) كاسم عربي يحثنا على استحضار موقفه ضد الروم، وفتحه لعمورية...

إن المعتصم كرمز ، يحيلنا على المقاومة العربية للغطرسة الغربية... وانتصاره على الظلم، وإعلاء الحق، والذود عن العروبة، والعزة العربية...

حين هوت بغداد

كان المعتصم يقف حائرا

على أعلى ملوية سامراء

تنحدر من مقلتيه دمعة خجولة عذراء

إن بغداد وسامراء، تعرفان اليوم هجمة شرسة من طرف الرومي ، الأشقر القادم من أمريكا...أمس كان المعتصم يعرف مسؤولياته...وكانت نصرته ، واستجابته لصرخة

الاستغاثة التي فجرت فيه النخوة، والعزة الإسلامية.
لكن اليوم...معتصم اليوم ليس هو معتصم البارحة... رغم أن الموقفين لا يتشابهان إلا في الهجوم على ثغر ، عربي وإسلامي...وهو أن الظلم مس أرض العراق، وبغداد تستنجد، وهنا كانت مجابهة الرئيس الراحل صدام حسين للغطرسة الأمريكية... كما جابه المعتصم غطرسة الدمستق ملك العلوج بعمورية...
وأمام هذا الرمز العربي والإسلامي الخالد(المعتصم)، نجد توظيفا لرمز آخر وهو (هولاكو)، قائد التتار، الذين هاجموا بغداد، وأحرقوا أسوارها، وأغرقوا كتبها في الدجلة، حتى أصبح ماؤها أسود من كثرة ما رموا من كتب بمياهها.
فالشاعر سهيل عيساوي يستحضر، ويستدعي حدث إحراق بغداد وتدميرها من طرف هولاكو، ليعبر عن فداحة الوضع الذي تعرفه بغداد اليوم، وما تعيشه يوميا من تدمير، وتفجير ، وإحراق، ونهب لخيراتها، وتشويه لحضارتها، وسرقة لتراثها ، وآثارها...من طرف هولاكو الجديد. فالدمار واحد رغم اختلاف الزمنيين، و النكبة واحدة..

في غفلة من الزمن
يغتال الحضارة
يراوغ مثل جده الأعظم
والعرب يمتلكون نصف احتياطي العالم من الدموع
تغرق حضارة الرشيد
ولا تغير النشيد
هولاكو يحب الدم...والغرق...وعويل النساء.

إنه بتوظيفه هذا الرمز التاريخي، يلفت الانتباه إلى حالة الأمة العربية من خلال حالة العراق، وجراح بغداد...إنه يثير المشاعر، ويستنهض الهمم، ويذكي الأحاسيس، وعزة النفس، ويوقظ النخوة العربية، حتى لا تضيع أرض عربية أخرى، كما ضاعت فلسطين ، والعراق في الدموع ، والخنوع، وترديد الشعارات الفارغة...

وموقف سهيل عيساوي من الرمز، واستعماله، واعتماده بشدة في إيصال المتلقي/ القارئ عن طريق الرمز والإيحاء إلى معان كثيرة، مع إذكاء الروح العربية، والقومية، والإنسانية، يذكرنا بالشعراء الفلسطينيين المجايلين له، الذين اتخذوا الرمز وسيلة للتعبير عن الهم الفلسطيني والعربي، والقومي في شعرهم.

والجميل عند الشاعر سهيل عيساوي في توظيفه للرمز، هو أنه لا يستحضر الشخصيات/ الرمز لعرض أحداثها، ومواقفها. ولكن يستحضرها لهدف واحد، وهو إثارة وجدانيات المتلقي/ القارئ.

وفي قصيدة(حكاية فارس)، تقوم كلها على رمز تاريخي معروف، هو الإمام علي بن أبي طالب. يتوسل فيها الشاعر سهيل عيساوي شهامته، وحنفيته، وفداءه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، حين نام في فراشه ليلة الهجرة. وكيف دخل المتآمرون من قريش وأحلافها بيت النبي لاغتياله في نومه، لكنهم فوجئوا بعلي في فراشه وهو ابن التسع سنين.

كما يتحدث عن شجاعة الإمام علي بن أبي طالب، وكيف كانت الفوارس ترتعد من صليل سيفه (ذو الفقار)...

كما أشاد بفصاحته، وبيانه، وشاعريته. فجمع الحسنيين : النسب الشريف، والشجاعة والبلاغة ، والبيان.

ثم عرج سهيل عيساوي على صراعاته السياسية في صفين ، وموقعة الجمل، وقضية الاحتكام، والتي تحيلنا إلى دهاء عمرو بن العاص، وبراءة أبي موسى الأشعري..ويختم قصيدته بعرض مشهد الاغتيال وهو ذاهب فجرا إلى المسجد للصلاة.

فالحادثة تاريخية، وسياسية، تؤرخ للصراع السياسي الذي نشب عن الحكم والخلافة. وقد وظف الشاعر هذه الحادثة: صراع علي بن أبي طالب، وعائشة أم المؤمنين، ومعاوية للإيحاء بالتدهور السياسي الذي أصبحت تعرفه الأمة العربية.

كما أن حادثة الاحتكام ، توحي بمعاناة الشعب الفلسطيني ، الذي عانى كثيرا من قضية الاحتكام للمعاهد الدولية، والمؤسسات الغربية، ومنها محكمة العدل الدولية،

وهيئة الأمم المتحدة، وأصابه من هذه الاحتكامات ما أصاب الإمام عليا. فقد هضم في حقه...

رغم أن عليا اغتاله أحد أتباع الخوارج ، وهو عبد الرحمن بن ملجم :

وفي مسرحية هزلية حكم عليه بالسباحة
خارج التيار
.....
قام يصلي صلاة الصبح
ويد خارجة عن الحق
أغمدت في ظهره سيف الغدر
استشهد الإمام
وانطفأ ركن من الكون

وفي قصيدة (شعبي والصليب)، يستلهم الشاعر سهيل عيساوي قصة صلب المسيح، ويوظفها في بنية القصيدة للإيحاء بمعاناة الشعب الفلسطيني، الذي توحدت معاناته في القصيدة، وصلبه مع معاناة المسيح عليه السلام، خاصة وأن المعذب والمصلب واحد وهم الإسرائيليون.

فالشعب الفلسطيني أمام أعين العالم...هذا العالم ذو الألف وجه...مع كل دقة مسمار في كف الشعب الفلسطيني، كان أنينه يصم الآذان، وجراحه تبكي القلوب...ولم تأخذ بالمصلب للمصلوب أدنى رحمة أو شفقة. دقوا المسامير في كفيه، وقدميه، وشدوا رأس هذا الشعب بإكليل من الشوك، يدمي جبينه، وهذه الصورة رمز على الحصار الذي تعرفه غزة، وشعبها الجريح، والمصلوب بين تيارين، أو مذهبين..

الرب- كما يقول عيساوي- ينظر ويراقب، وأمريكا الرب الوحيد اليوم، تنظر وتراقبن وتبارك الفعل الهمجي، وتعتبر التقتيل ، والصلب اليومي مشروعا، وحماية للأمن

العام، ومكافحة لكل إرهاب.
ولم يستطع هذا الشعب أن ينزل من على الصليب إلا لما أذن الرب/ أمريكا بذلك. وهذا يذكرنا بالمحنة التي عانى منها حجيج غزة أمام المعابر ، خاصة معبر رفح. كما يعاني الفلسطيني عامة من البوابات في دخوله وخروجه، ولا تفتح له هذه المعابر إلا لما يعطى الضوء الأخضر .
ورغم الضوء الأخضر، الذي أعطي للفلسطيني لتكوين وطن،ودولة منتدبة، فهو يمارس عليه التقتيل..
إن الشعب الفلسطيني يذبح كل يوم أمام الصمت العربي، ومباركة القوى الغربية.
إن الشاعر سهيل عيساوي يوظف الرمز توظيفا جميلا، لا يخلو من فنية. فهو يستعرض إشارات، يهدف منها أن توحي بالحادثة التاريخية، والدينية، ويجعل المتلقي/ القارئ يقوم بالمقارنة ، والمطابقة، واستخلاص النتيجة. وبالتالي يكون لدى القارئ/ المتلقي مستويان :

1. المستوى التاريخي الذي يتضمنه الرمز. حيث يستحضر المتلقي تاريخ الحادثة الموظفة، والمعتمدة في تقريب معاني القصيدة ، ومضامينها.
2. مستوى المعنى والمضمون، الذي يوحي به هذا الرمز، وتاريخيته ، وإسقاط ذلك على أحداث معاصرة، وآنية تسمح بالمتابعة، والمماثلة، والمطابقة، والمقارنة...

وهذا كله يوصل القارئ/ المتلقي إلى اللذة الفنية المتأسسة على التصوير، والتشابه، والتمثل، والتمثيل، والتماهي، والانزياح، والاستنتاج، بعيدا عن المباشرة والاستعراض التاريخي.
ويستخدم الشاعر سهيل عيساوي تقنية رمزية جميلة، تبين عن وعي فني أصيل. وهي – كما يسميها الدكتور غسان غنيم– تقنية الإيحاء بفسحة بين صورتين، حيث يستعمل الرمز من خلال الجمع ، أو عرض صورتين بعيدتين، لا رابط بينهما.وعندما يجمع بينهما يوحي ذلك بالمعنى والمضمون الذي يريد الشاعر أن يصل المتلقي إليه...
فقد جاء بالصورتين، وجعل بينهما فراغا موحيا للإيحاء بأن التقتيل مستمر في الشعب

الفلسطيني. وأن لا أحد يحتج على ذلك، أو يندد بالفعل. بل يعتبر العالم كله أن قتل العربي حق مشروع للقاتل كيفما كانت جنسيته... ما دام هذا العربي يتسم بالإرهاب، وينعت به.

سائق يسري الجنون في عروقه
وفاه الموت أكبر من الموت
ويوسف الصغير !!
أجهضت ألف ابتسامة
وأطفأ لهيب الحب والحنان
لم يتجمهر الصحفيون
كما في الولائم والأعراس
ما قطع التلفزيون بثه
كما في حفلة ماجنة

إن حالة التقتيل مستمرة...وببرودة أعصاب، كان شيئا لم يكن...

5. الغزل في شعر سهيل عيساوي

إن الشعر حال لسان الشاعر سهيل عيساوي. وقد أكد الأستاذ محمد منذر لطفي في مقالته المعنونة ب: (البعد العاطفي في شعر محمد الحريري)، أن الشعراء وقفوا من المرأة، ومن محبوبتهم مواقف أربعة:

1. وهو الموقف الذي نظر فيه الشاعر المرأة نظرة حب صريح، مادي، غارق في الحسية. واعتبرها متعة جسدية ولا أشهى.
2. وهو الموقف الذي نظر فيه الشاعر المرأة نظرة حب عفيف، طاهر، عذري بعيد عن الماديات، بعيد عن الإباحية، والإسفاف. واعتبرها طهرا دافقا بالإحساس،

والحب، والمشاعر الرقيقة.

3. وهو الموقف الذي جمع فيه الشاعر بين الحب الصريح، والحب العذري العفيف. واعتبر المرأة جسدا وروحا.

4. وهو الموقف الذي اعتبر الشاعر المرأة على أنها رمز غني بالدلالات، والجمالية، والفنية.

وفي المجموعة الشعرية للشاعر سهيل عيساوي(قصائد تغازل الشمس)، نجد ثلاث قصائد غزلية. وهي: (مسرحية إغريقية- عقارب الزمن- لو).

ومن خلال هذه القصائد الثلاث، نتبين نظرة الشاعر الفلسطيني سهيل عيساوي للمرأة. وهو ينظر إليها في قصائده الثلاث، نظرة طهر، وعفة. وأنها منبع الحنان، والعواطف. وأنها كل كلمات الحب، والتي تشبه مقاطع من مسرحية إغريقية.

إنه كعاشق يعلم أنه لا يملك قلبه، ولا يملك مفاتيحه. وبالتالي لا سلطة عليه...إنه يموت بالحب بسبب العشق، وبسبب الحب الذي يكنه لمحبوبته. وبهذا الحب يحيا، لأنه أمله في الحياة. به يتنفس. ولا يمكنه أن يعيش بدون حب، لأنه ملحه وماؤه، وطعامه.

والسعيد عند الشاعر سهيل عيساوي من ألهمه الله تعالى الحب، وجعله يسعد به، لا أن يشقى به. فالحب نفحة إلهية، يغمر بها الله قلب من يحب...فيجعله محبا، ومحبوبا.

كلمات الحب

مقاطع من مسرحية إغريقية

أبطالها أشباه أساطير خرافية

العاشق لا يملك مفاتيح قلبه

يموت ويحيا وفق وفوق النص

لسانه يسبح في سماء مغلقة...

في البدء كان الحب موهبة ربانية...

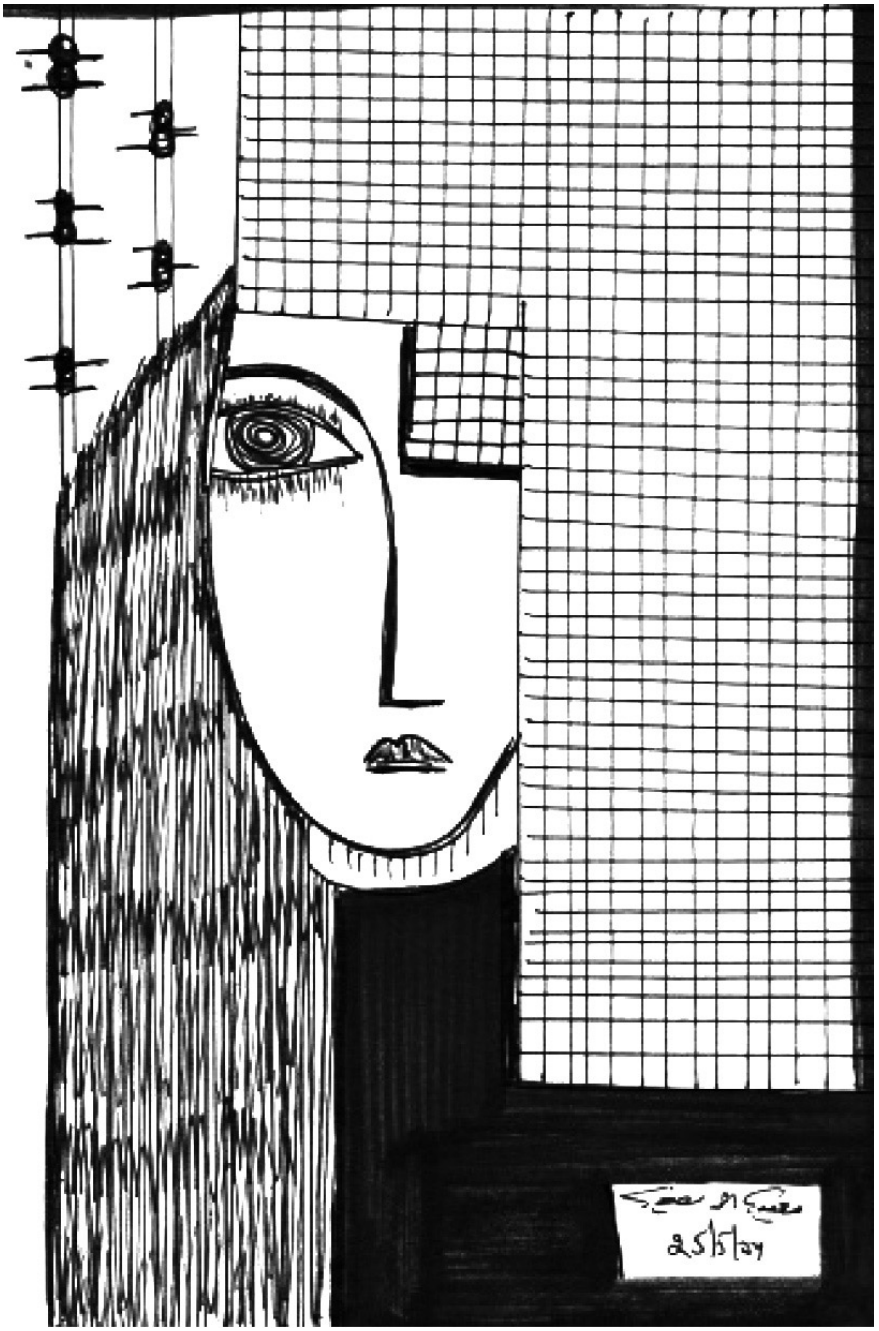

إن الشاعر سهيل عيساوي محب ، عاشق كبير. لذا في حبه يشعر أنه يضع قطيعة مع الزمان، ويخرج منه إلى عالم المطلق، عالم الإلهام، والحس الروحي... فيتحول الزمن عنده توحدا بالحبيب، واندماجا في العشق. فيصبح القلب ساعة ،ودقاته ودفقه روحا...وأحاسيس جياشة. فيتحول الوقت لا وقتا. والزمن يتوقف عن انسيابيته. وبالتالي يتوحد مع الزمن، ويتماهى به...وهذا مذهب التحلل، والتماهي. إنه نوع من الحلاجية التي يستشعرها الشاعر، وهو في لحظة حب:

لم أعد أعترف بعقارب الزمن
وتقاسيمها السقيمة
ثانية..ساعة..يوم
أسبوع..شهر..دهر
ساعتي قلبي
وعقاربها روحي
تقف عند عيونك
يتحنط الوقت
يفر إلى اللا وقت

ومن شدة الحب، ولهفته على محبوبته ، يتمنى كباقي المحبين أن تطوى الأيام، وتختصر المسافات...وتزول الحدود ، ليكون إلى جانب محبوبته...

إنها نوع من الأماني التي تتمناها النفس، وهي في حالة عشق. إنه حب عذري، فيه حرقة على المحبوبة...وهذا يذكرنا بحبنا العربي الموروث، وشعرائنا الذين اشتكوا الغربة، والحرقة، وتمنوا لو أن الزمان يصبح لحظة... والمسافات قصيرة، تقربه بمن أحب...

إننا نشتم فيه همس عنترة العاشق، وحرقة جميل المكتوي، وأمنيات ابن الفارض...

لكن هذه الأماني تجعلنا نقول: هل الشاعر سهيل عيساوي يتلمس الاكتمال، ويبحث عن الكمال؟.هل يعاني من عقدة الأمير في حبه وعشقه؟. أم ، أنه يشعر بالدونية أمام

هذا الحب؟.

لكن عندما نقرأ قصيدته، نجد أن هذه الأمنيات لهدف واحد فقط، وهو الفوز بقلب محبوبته، والعيش بقربها... ولذا اختصار الزمن، وطي المسافات، هو لهدف واحد، وهو: الإبحار في عيني محبوبته، والارتشاف من أنفاسها. وبهذا يكون التوحد، والتماهي بالحبيب:

لو كان بإمكاني
أن أطوي الأيام بين أصابعي
أختصر المسافات
المدن...الجدران
لأبحر في زوارق عيونك
وارتشف أنفاسك المبعثرة

إن الشاعر سهيل عيساوي برع في إعطائنا بعض الصور النفسية عن ذاته، وحالته العشقية...

إنه يسبر غور الحب ، والمحب...ويبحر في ثنايا سيرة العاشقين، ونفسيتهم ما دام هو واحد منهم، رغم أن قصائده الثلاث جاءت على شكل ومضات شعرية جميلة.

إنه يرسم، ويشكل لوحة عشق، وعاشق... برؤى مختلفة ومغايرة لما هو مألوف، ومعروف...إنه برع في تصوير نفسية العاشق، وحالة العشق دون الاهتمام، أو الإشارة إلى أي تشكيل جسدي يخرج عن اللباقة، واللياقة والأخلاق... وبالتالي نجزم أن الشاعر سهيل عيساوي ، شاعر عذري ، عفيف بامتياز. يجعل من تيمة العشق، والحب، قيمة إنسانية عالية المقام...

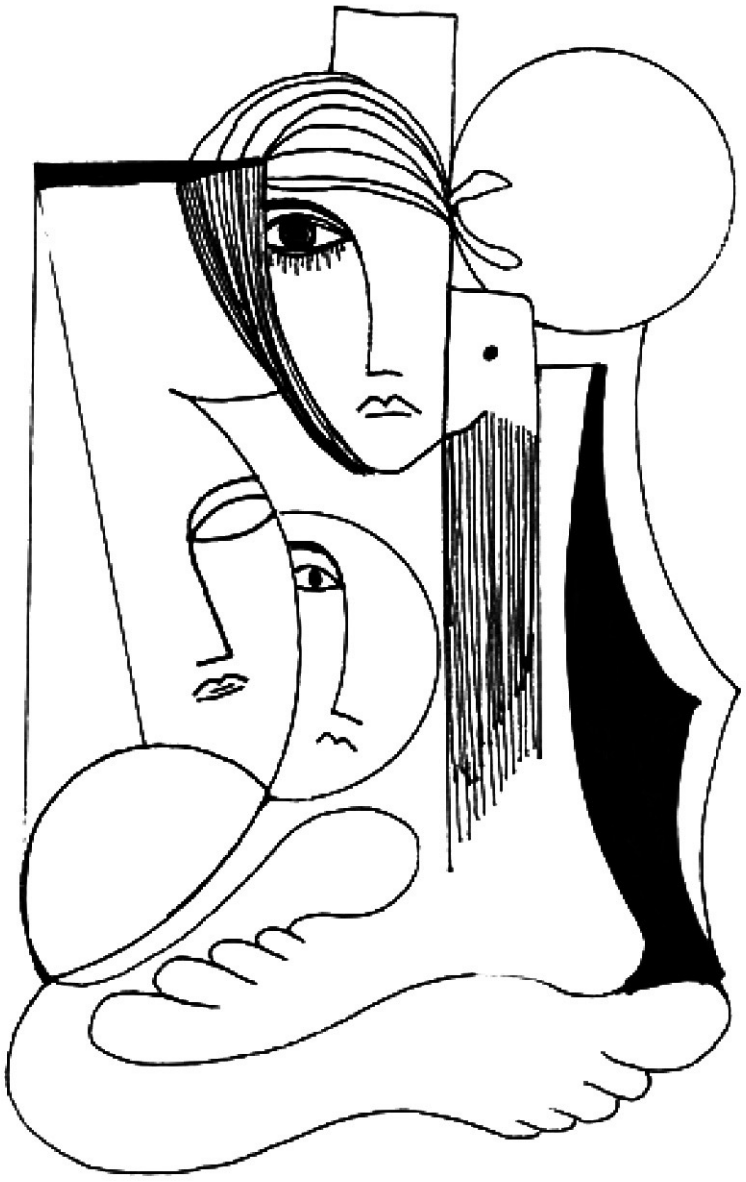

6. النزعة الإنسانية في شعر سهيل عيساوي

إن سهيل عيساوي أثار كثيرا من النقاش حول شعره، ومدى الشاعرية فيه. ورغم ما قيل في شعره وشاعريته، ومداها، يبقى سهيل عيساوي شاعرا فلسطينيا مجددا، له نظرته الإنسانية الخاصة... وطريقته في كتابة الشعر وقوله... فهو ناصع الديباجة، واضح المعاني، سلس الهمس، شعري الهفهفة.

ووعيا منه بأن لا مندوحة له من الخروج من الذات، والاتصال بالآخر، لأن هذا يوفر له توسيعا في الرؤيا، وإشراقا في القول، وإنسانية في المضمون والمحتوى...وبذلك جاءت قصائده تقطر إنسانية، وترشح خوالج، ودفقات إنسانية عبقة، وحرارة التواصل والعلاقة...

ومن ثمة كسا شعره إشراقا نفسيا، وإنسانيا...مليئا بالقيم، والمواقف الرفيعة، والروحية...ومن هنا كان الشاعر سهيل عيساوي ينظر إلى الشعر نظرة الشاعر التركي ناظم حكمت، الذي قال: »على القصيدة أن تكون المركب الذي يحمل الناس من ضفاف اليأس والليل، والإذعان، والسكون، إلى ضفاف الفجر والعمل من أجل مجد الإنسان والحرية» (أحمد بلحاج آيت وارهام، المشكاة، عدد 46، المجلد 12، 2005، ص: 60).

إن سهيل عيساوي يدفع القارئ/ المتلقي إلى التسامي بالحياة، وإلى كشف الجمال، والحياة، وتحسسهما...وهذا يبين مدى حب الشاعر للحياة:

ليتني جرعة دواء
أخفق الألم عن جريح
وامسح الحزن الرابض في عيون أم ثاكل
فقدت طفليها في ملجأ العامرية

إنه إنساني في همسه...وهذا دليل على مخزونه، ومرجعياته الإنسانية، والثقافية، والتي

تفجر فيه أحاسيس النبل، والاستشعار بالألم. إنه يحب الخير للكل، ويحب السلام للجميع...يتألم لآلام الآخرين، ويتحسر لحسرتهم.
إنه يتنفس في الشعر وجوده، وإنسانيته، وإنسانية الكون....
إنه يدرك أنه في هذا العصر...عصر العولمة، والليبيرالية المتوحشة، والجاهلية الجديدة.
لا شيء يكون إنسانيا، وعالميا إلا الشعر...
فالشعر يكون الإنسان، ويفجر في دواخله الصلب الإنسان... وبالشعر تكبر القيم، وتتفجر المشاعر... وينمو الحب...ويعلو فوق كل شيء...

أمهلنا أربعين عاما
إن ظللنا
يوسف الرب يحبك
ونحن نحبك

إنه يرفع رسالة إلى العالم، يقول فيها أن الناس تتشابه..
والإنسان واحد...وأن الأب واحد، والأم واحدة:

أود أن يعرف العالم
أن دم الأفغاني أحمر
وقلبه ينبض حبا وإنسانية

لذا هو يتنكر لكل القيم المشوهة، العوجاء، التي تنادي بالقتل والتنكيل، وتعذيب الآخر...إنه يكفر بالقيم التي تعصب العينين، وتجعل البعض ينظر بمنظار العصبية، والاحتقار للآخر:

آه...آه...
لو تقاسم كل عربي ذرة من جبل آلامك

لأورقت على شفتيك ابتسامة خضراء
لأطلت من آخر النفق القديم شمعة برأسها

إن الشاعر سهيل عيساوي ، يخاطب فينا الجانب الروحي، والإنساني.
إنه يتمثل الشاعر حين صدح بقوله :

ولولا خلال سنها الشعر ما درى
بناة المعالي كيف تبنى المكارم

إنه ينكر على الأرواح، والنفوس جوعها. وأن أجمل غذاء يغذيها هو غذاء الحب، والمحبة، والإنسانية. هذا الغذاء الذي تنمحي أمامه كل آثار الزمن، وتفر من أمامه كل تقاسيمه المريضة :

لم أعد أعترف بعقارب الزمن
وتقاسيمها السقيمة
ثانية..ساعة..يوم
أسبوع..شهر..دهر
ساعتي قلبي
وعقاربها روحي
تقف عن عيونك
يتحنط الوقت
يفر إلى اللا وقت

هذا الغذاء الروحي الذي يذكر المتلقي/ القارئ بانسيابيته، وبقيمه النبيلة...ويفرغه من

وحشيته، وجبروته..
إنه يدين العالم الذي يشهر الموت، والحرب، والعدوانية، والهمجية، والتتارية، والهولاكية، والبربرية...
إنه في إنسانيته يجهر وبصورة ضمنية بالإخاء، والتعاطف، والسلام، والمحبة، ورفض الحروب، والقتل، والتقتيل الجماعي، ويؤمن باحترام إنسانية الآخر، وطفولة الصغير...
إنه يتعاطف مع هؤلاء المنكوبين في بلده فلسطين، وفي العراق، وأفغانستان، وفي كل شبر من الأرض ...

أود أن يعرف العرب
أن جرح كابل
جرح القدس...وبغداد...وبيروت

إنه يبحث عن السلام الشامل، الذي يعم الجميع...ويحب الخير للإنسانية جمعاء...فنجده يتمنى لو كان إعصارا يكنس كل الجور والظلم، والعدوانية...ويزرع مكانها المحبة والسلام، والخضرة:

ليتني أستطيع إيقاظ كل الضمائر
التي خلدت إلى النوم دون غطاء
ليتني أستطيع بقر القلوب السوداء
وازرع مكانها قلوبا خضراء

كما نجده ينبذ الشر، ويعتبره استفزازا لإنسانية الإنسان، وتهديدا لأمنه واستقراره...إنه نوع من الحرمان القاتل الذي يحرم الإنسان أشياء كثيرة...لذا نجده ينبذ الشر كيفما كان

نوعه، ومصدره...ويعتبر من يأتي بالشر هو كائن لا إنساني :

في غفلة من الزمن

يغتال الحضارة

يراوغ مثل جده الأعظم

من هنا نجد أن العنوان له دلالة كبرى في الإشارة إلى الإنسانية في شعره...فالشمس تساوي عنده الحرية، والحرية هي الحياة...والإنسان في أمان وسلام ومحبة...وإذا مست هذه الشمس، فإن وجود الإنسان يصبح مهددا...

7. الرؤية اللغوية عند سهيل عيساوي

إن اللغة مادة الشعر و جوهره. وهي هنا أصوات ومعان، وهذا يعني أن الدلالة واللفظ مادة واحدة قبل أن يكونا صنوين ينفرد كل منهما عن الآخر(د. ابراهيم السامرائي، لغة الشعر بين جيلين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، 1986، ص : 7).

فإذا كانت اللغة عنصرا من عناصر الشعر المهمة، فلا بد للشاعر أن يملك مسلكا خاصا ليستطيع فيها أن يؤدي المعاني بطريقة تختلف عنها في ما عدا الشعر من فنون القول(عبد العزيز إبراهيم، شعرية الحداثة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005، ص : 15).

وهذا يعني الجميل المناسب والأنيق الحس من اللفظ، الذي يشترط البعد عن الغرابة والوحشية، ومناسبة اللفظ للمعنى.

يقول ابن طباطبا العلوي : ››للشعر أدوات...وجماع هذه الأدوات كما العقل الذي به تتميز الأضداد ولزوم العدل، وإيثار الحسن، واجتناب القبيح، ووضع الأشياء

مواضعها»(ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تحقيق، د. عبد العزيز بن ناصر المانع، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، 1985، ص: 7).

فإن تمكن الشاعر من أدواته، فإن الشعر السلس يخرج خروج النثر...وهذه تشير إلى أن الشعر محتاج للعمل والنظر، والاختيار- كما يقول الدكتور إبراهيم السامرائي-

وعندما نبحث عن الآليات التي استعملها الشاعر سهيل عيساوي ، لنقف على رؤياه اللغوية، نجده يختار لغته، وينتقي كلماته، وألفاظه، ليبني بها رؤياه الشعرية الإنسانية...

وهذا يذكرنا بالشاعر المصري صلاح عبد الصبور حين قال: »إن بعض الكلمات لتكتسب في عيني أحيانا صفات الكائن الحي. فلا تكون مجرد كلمات مفردة، إذ تضغط وتثوى فيها عوالم كبيرة، ورؤى وذكريات، حتى تصبح أشبه بالقمقم الذي حبس فيه العفريت أو الجني الذي هو الحياة.

تظل مثل هذه الكلمات تطاردني، وتفرض علي وجودها بصورة طبيعية كأنها جزء من ذاتي وليست عبئا عليها. وهي أحيانا رموز ومفاتيح لأشياء نسيت، وماتت ، وترسبت في أعماق الروح، وفي أحيان أخرى تصبح دلالات على أشياء غير موجودة في هذا العالم على الإطلاق، أو أنني أتمنى أن تكسب الوجود» (أحمد بلحاج أيت وارهام، المرجع نفسه، ص: 82).

إن الشاعر سهيل عيساوي يعرف أن الشعر يتطلب لغة مختلفة عن اليومي...من خلالها يتم اكتشاف الجمال، والفنية والشعر.

لذا نجده يعتمد قاموسا لغويا واضحا وبسيطا. وذا دلالة بعيدا عن التكثيف، والرمز المستغلق، والتشويش، والتعتيم والتضليل...وكل خلخلة...وبلبلة.

إن لغته المستعملة مأنوسة في معانيها، وصورها...ولذلك هو يهدف التوصيل، وإبلاغ الفكرة قبل كل شيء...

ومن هنا نجد أن لغته الشعرية الموظفة، تدفع بشعره إلى مجال الرؤيا، وليس الرؤية. ولذلك القارئ/ المتلقي لا يجد فيها أي صعوبة عند قراءتها...

ظلالها واضحة، وفنيتها سهلة...تساعد المتلقي/ القارئ على استدعاء موارده المعرفية.

من هنا يمكن الجزم بأن شعره ليس مستغلق الأسرار، ولا يجنح إلى الغموض ، والتعسير.

هذه اللغة وازاها خيال ساعد على اكتشاف البعد الإنساني في شعر سهيل عيساوي، ووضح مسافاته الشعرية.

وحتى تكون للغته الشعرية قوتها، وأصالتها، وجماليتها، وفنيتها، توسل لها الرمز، وبعض الاستعارات، وإيقاعية الحروف والكلمات، والحركات الإعرابية، وبعض الصور الجميلة.

وكما يقول الأستاذ أحمد آيت وارهام بلحاج، كل شاعر بغض النظر عن درجة شعريته، له رموزه وإشاراته التي هي في نهاية المطاف تأسيس لنظام لغوي داخل اللغة التي يبدع بها. لا يدرك أسراره إلا القارئ الفطن.

فالقصيدة تتوجه أكثر من أي جنس أدبي آخر إلى القارئ الحاذق(احمد آيت وارهام بلحاج، المرجع نفسه، ص: 86).

فإذا لم تكن مفهومة، فإن الخطأ ليس كامنا فيها، وإنما في القارئ(جون كوهين، بنية اللغة الشعرية، ترجمة: محمد العمري، و محمد الولي، دار توبقال ، الدار البيضاء، 1986، ص: 16).

»فهي في بعدها الشعري تؤسس معرفة خاصة مرتبطة برؤيا الشاعر أو رؤيته. وتفترض في المتلقي القدرة على الولوج إلى هذه المعرفة إذا هو وقف في النقطة التي كان يقف فيها الشاعر وجها لوجه أمام العالم» (أحمد بلحاج آيت وارهام، المرجع السابق، ص: 86).

والفضاء اللغوي عند سهيل عيساوي منفتح على الحياة، ولغة العصر. فلا نجد كلمات غريبة في شعره، ولا حوشية أو وحشية...إنه لا يأبه لجزالة اللفظ، ورصانة اللغة، وفصاحة الكلمة المجلجلة...كأنه يقول بلسان حال جبران: »لكم لغتكم ، ولي لغتي».

إنه من خلال لغته المنفتحة على الحياة، يقدم للمتلقي/ القارئ شعرا بأسلوب سهل بسيط، ذي معجم واضح لا غموض فيه...لغة سهلة التناول، غنية بالصور، إنه يلتجئ

إلى الواقعية اللغوية، ويتمسك بها في شعره: »فاستطاع أن يفصح ، وأن يحقق لغة الحديث اليومية في شعره، وأن يطبعها في الوقت نفسه بطابع غني بالظلال، والإيحاء، وعناصر لغة الشعر الخالص» (د.ساعي، (أحمد بسام)، حركة الشعر الحديث في سورية من خلال أعلامه، دار المأمون للتراث، دمشق، ط1 ،1978، ص: 203).

إن الشاعر سهيل عيساوي يؤمن بأن الشعر رسالة، ويعتبره وسيلة للتواصل والتعبير، وشحن العواطف.

وفي هذا التواصل يستعمل مجموعة من الضمائر المتنوعة في التعبير عن أحاسيسه، ومشاعره، ومواقفه.

فأمام مصاب الأمة، ونكبة بغداد، يعبر عن هذه المأساة مستعملا ضمير المتكلم. ومن خلاله لا يخفي حزنه واساه. إنه يشارك الهم العربي محنته كما في قصيدته (ليتني يا بغداد).

كما يستعمل ضمير المخاطب موجها خطابه للأمة العربية، مستنكرا عليها خنوعها، وذلها، وضعفها، وتخاذلها، وتهاونها في درء الظلم والعدوان.

إنه في قصائده، يستعمل ضمير المتكلم ليبني عالمه الشعري، ويعبر عن الأحداث التي يعيشها، ويشاهدها يوميا..وهو إلى جانب ذلك يتحدث بصيغة المضارع المفردة، المبدوءة بهمزة المضارعة: (أصير- أغتال- أخفف- أمسح- أحجب- أستطيع- أزرع- أبصق)، ليرفع من دراما النص ، ومن شعريته.

إنه بتوهجه الزماني هذا ، يعلن سخطه على الوضع العام الذي تعيشه المنطقة العربية، وسخطه على الظلم والعدوان الذي يعانيه العربي، والمسلم في كثير من بقاع العالم.

8. الصورة الشعرية عند سهيل عيساوي

إن الصورة الشعرية راسخة في تراثنا النقدي، والبلاغي. وليست جديدا على أدبنا العربي...

ومن أوائل المهتمين بالصورة الشعرية: الجاحظ، حين قال: »إنما الشعر صناعة وضرب من النسيج، وجنس من التصوير« (الجاحظ، الحيوان، تحقيق، عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1948، 3/ 132).

والصورة الشعرية، تثير الانفعال، وتستميل المتلقي/ القارئ في صياغة الأفكار والمعاني. فيصبح الشعري كالرسم، والقصيدة كاللوحة.

و الشاعر سهيل عيساوي يهتم بالصورة، والمعنى، لأنه يعرف مدى تأثير الصورة الفنية في المتلقي/ القارئ، ومدى تقريبه إلى فهم النص. ولذا هو دائما يتمثل قول حازم القرطاجني الذي نظر إلى الصورة من خلال التخييل والمحاكاة: ››إن المعاني هي الصورة الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان. فكل شيء له وجود خارج الذهن فإنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه. فإذا عبر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصورة الذهنية في أفهام السامعين وأذهانهم. فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة الألفاظ«(منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق، محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس 1966، ص: 18- 19).

وبما أن الشاعر يتفاعل مع محيطه، ويعيش تجربته، فإن معانيه تأتي حالمة، رفيعة، وجميلة، وإنسانية.وهذا ما أكده حازم القرطاجني بقوله: »فقلما برع في المعاني من لم تنشئه بقصة فاضلة، ولا في الألفاظ من لم ينشأ بين أمة فصيحة، ولا في جودة النظم من لم يحمله على مصابرة الخواطر في أعمال الروية الثقة، ولا في رقة أسلوب النسيب من لم تشط به عن أحبابه رحلة« (حازم القرطاجني، المرجع نفسه، ص: 42).

والشاعر سهيل عيساوي، يعرف أنه لخلق صورة جميلة متميزة لا بد أن يتعامل مع لغته، ولذا فإن: »تمثل عملية التخيل الأساس الأول الذي ينطلق منه الفنان، بعد انفعاله، ليضع أحاسيسه ومشاعره، وصوره الكثيرة المتثالة في شكل فني منظم. ومن الصعب تماما خلو الشعر من عنصر الخيال، وإلا غدا كلاما مبتذلا لا قيمة له. فقد يكون خيالا أوليا يشترك فيه مع سائر الناس، فلا يتفرد عنهم بشيء. وربما كان خيالا سلبيا أو إيهاما، وذلك ما

يشترك فيه معظم الشعراء... إلا أن المهم توفر عنصر الخيال في إحدى نسبه أو درجاته في عملية التعبير» (د. علي عباس علوان، تطور الشعر العربي الحديث في العراق، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (د- ت)، ص: 37).

فاللغة عنده ترسم صورة المعنى ، وتحدد دلالتها، وبذلك تصبح رؤاه واضحة، مفهومة، ومقربة للمتلقي/ القارئ، وبالتالي تصبح حلمه الذي يدعو الشاعر سهيل عيساوي المتلقي لدخوله، واكتشافه عن طريق قصائده وشعره.

إنه يلتقط صوره من مشاهداته اليومية، وما يعيشه من أحداث. وكما يقول شلوفسكي الناقد الروسي : »إن الشاعر لا يخلق الصورة والخيالات. وإنما يجدها أمامه فيلتقطها من اللغة العادية. ولهذا فإن الخاصية المميزة للشعر لا ينبغي أن تكون مجرد وجود هذه الأخيلة، وإنما الطريقة التي تستخدم بها» (د. صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1987، ص: 81).

وسهيل عيساوي دائما في شعره قريب من واقعه، لذا تأتي قصائده واضحة، وبسيطة في معانيها. متواضعة في خيالها، سهلة في فهمها وولوجها.

هذه الصور يسبغ عليها من أحاسيسه، ومشاعره لجعلها متميزة وذات فنية وإيقاعية : »إن الشعور ليس شيئا يضاف إلى الصورة الحسية. وإنما الشعور هو الصورة، يبقى مستقرا في الذاكرة، مرتبطا بمشاعر أخرى محورا لها. وعندما تنبثق هذه المشاعر للضوء فإنها تتخذ شكل الصورة» (د. علي عباس علوان، المرجع نفسه، ص: 41).

فهذه الصورة تعبير صادق عن تجربته الشعرية الذاتية، وما يختلج في نفسه، وتعبير صادق كذلك عن رؤاه الفنية.

ولم يتعامل الشاعر سهيل عيساوي مع الصورة الفنية من خلال البلاغة الرصينة المستغلقة، ولا من الإغراق في المجازات ، والاستعارات والكنائيات. بل اعتمد على تشبيهات بسيطة، واضحة تتوفر على أركان التشبيه من مشبه، ومشبه به، وأداة التشبيه.

فجل التشبيهات الواردة في مجموعته الشعرية ، هي من التشبيه التام. بالإضافة إلى استعارات واضحة :

آه...آه...

لو تقاسم كل عربي ذرة من جبل آلامك
لأورقت على شفتيك ابتسامة خضراء
لأطلت من آخر النفق القديم شمعة برأسها
لما انتصبت من مقلتيك دمعة طاهرة
انشق في قلبي جرح بعمق دجلة وبطول الفرات

فهو قد استعار عمق الدجلة، وطول الفرات، ليصور بهما فداحة الجرح الذي أحدثته نكبة بغداد، وجرح العراق في نفسه. فالعلاقة بين العمق والطول، والأثر النفسي لغزو العراق، علاقة مجازية.

وصور سهيل عيساوي من الصور غير المرئية، المستحضرة في الذهن، والبسيطة...يستثير بها حالاته الوجدانية، ويستثير بها كذلك تفاعلات المتلقي/ القارئ، وتجاذبه واندماجه مع قصائده، وخلق رؤيا جديدة لديه، تقترب من رؤيا الشاعر نفسه.

وعندما نقرأ قصائد هذه المجموعة الشعرية (قصائد تغازل الشمس)، نقف على تركيبها وصورها، نتبين أن الشاعر سهيل عيساوي متأثر جدا بالمذهب الأدبي الدادي أو الدادائي...

وهذا بسبب مقروئه للشعر العربي الحداثي، وللشعر الإنجليزي، بحكم ثقافته الإنجليزية.

وهذه الميزة المذهبية التي تطبع شعر سهيل عيساوي، تنتمي إلى الحركة الفنية الغربية التي ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى، وما آلت إليه من نتائج. فتبنى مؤسسوها: »الإبداع الذاتي، والتعبير عن الفردية بأي صورة يراها الفنان أو الشاعر. ولذلك كثرت طرائق التعبير فيها، وانحدرت هذه إلى أن سميت فوق الطبيعة» (د. ناصر الحاني، المصطلح في الأدب الغربي، منشورات دار المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1968، ص: 59).

و »لذا جاء الشعر الذي كتبوه بصور غير مترابطة مع الواقع أو المجاز. فكان النص جمعا لألفاظ لا معنى لها . فإن تأثر فيها شعراء الحداثة فلا ننتظر إلا صورا مهشمة لا توصل بالمتلقي إلى رؤية ومعنى» (عبد العزيز إبراهيم، المرجع نفسه، ص : 31).

وبالتالي جاءت صور الشاعر سهيل عيساوي مهشمة. فقد ابتعد عن الموروث الشعري العربي، وعن آلياتها في تقريب المعنى.

كما ابتعد عن ربقة الوزن والقافية، وأعطى لنفسه حرية أوسع. ومن هنا انغمس في قصيدة النثر، وأبحر فيها... وهذا أفقد نصوصه في هذه المجموعة الموسيقى والإيقاعية. الشيء الذي أصبحت تظهر معه ملساء، وبدون روح تقريبا.

9. التعبير عن الجرح العربي و مأساة العراق

كثرت الكتابات عن الجرح العربي، وعن التخاذل الذي انغمست فيه الأمة من الماء إلى الماء... وقد تناولت الأسباب، والنتائج بكثير من الإفاضة والتفصيل...وقد كان الشعر ملازما لهذا الجرح...مصورا له ومعبرا عنه، وعن آهاته ، ونزيفه.

وقد عايش الشاعر سهيل عيساوي الأحداث، والتصق بها، وتفاعل معها. وأدرك أنه بالشعر يمكنه المشاركة في رفع هذه المحنة عن الأمة. ووعى أن التعبير عنها شعرا، ومشاركتها وجدانا، هو نوع من الجهاد...والمشاركة الوجدانية.

ولم يكن شعره هذا القومي تعبيرا عن فرد، بل عن كل أبناء الأمة من شرقها إلى غربها...ومن شمالها إلى جنوبها...فجاءت قصائده القومية مصورة للتقتيل الذي يعرفه الوطن العربي، والهجمة الشرسة ، والوحشية التي يرومه.

نعم، لا ننكر أن الأحداث الدامية التي يعرفها العراق يوميا، حركت مواجد الشاعر سهيل عيساوي، وجعلته يرفض كل أنواع التنكيل، وكل أنواع الغدر، والتقتيل الممنهج...يشجب العنف، وتشويه الحضارة، وسرقة التراث، والمآثر، وحرمان

الطفل من طفولته، ومن حنان والديه...
والمجموعة الشعرية(قصائد تغازل الشمس)، تشتمل على أربع قصائد تتحدث عن مأساة العراق، والجرح العربي. وهي : (حين هوت بغداد) ، و(ليتني بغداد)، و(كلمة صغيرة إلى طفل كبير)، و(هولاكو الأمريكي).
ومن خلال هذه القصائد، نتبين حسه المرهف أمام صور التقتيل ،التي تبثها قنوات العالم، والتي تظهر شعب العراق الذبيح في أنكر الصور، والمشاهد. الشيء الذي يحرك وجدانياته، ويسيل دموعه، ويعصر قلبه، فينفجر ألما، وحزنا، وشظايا من غضب وألم...تتمظهر في كلمات شعرية ساخنة، قوية، ذات دفق وحس وطني كبير...
إنه يرفض هذا الألم الممارس على شعب أعزل لا حول ولا قوة له...إنه ساخط، ناقم على بغداد التي هوت على حين غرة، وتدفقت دموعها متطايرة هنا وهناك...ساخط على المنهجية التي اعتمدت في طمس تاريخ هذه الأمة، ومحو معالم حضارتها. وسرقة تراثها، ومآثرها...وقطع نخيلها :

إن ألسنة النار تلتهم مجدك
إن حاول الرعاع نهش لحمك
إن سرقوا متاحفك وسجاد مساجدك
أسمع من بعيد زفرات النخيل
يئن ويدمع دما معتقا

ويزداد سخطه عندما يجد العالم العربي كله قد أدخل رأسه تحت جناحيه، وخلد لنوم عميق...فنجده يصرخ هذا الخنوع العربي، وهذا الذل الذي ضرب أطنانه في الأمة... فلا يجد غير أن يعتذر لبغداد عن هذا الخنوع، وهذا الصمت العربي :

العذر لتاريخك المجيد

لقطرات فوارس الإسلام

لعمامة العلماء

إن وقف العرب بلا حراك

فأمام هذا الخنوع، وهذا الصمت/ الموت العربي، والاكتفاء بالدعاء، وترديد شعارات التنديد، والاستنكارات، يتمنى أن يكون شيئا يحيي بغداد، ويعيدها إلى مجدها السالف.

فماذا يتمنى سهيل عيساوي؟.

إنه يتمنى أن يكون سنبلة قمح، وجرعة دواء، وعصفورا زقزاقا، وصحوة ضمير، وجرة مشرط، وقدرة على البصق في وجوه كل سماسرة العالم.

لماذا هذه الأمنيات؟...

إن الحصار المضروب على العراق، والتدمير الممنهج لشل حركات بغداد، جعلت أبناء العراق يعانون الجوع، وسوء التغذية، والعطش المقصود... ولذا يتمنى أن يكون سنبلة ملأى، حتى يتحول إلى رغيف يطعم كل بطن عراقي جائع، ويسكت بكاء أطفال جياع.

كما يتمنى أن يكون دواء لهؤلاء المرضى، وهذا يذكرنا بمحنة الشاعرة العراقية الراحلة: نازك الملائكة، التي عانت كثيرا جراء انعدام الدواء بالعراق...

كما يتمنى أن يكون عصفورا شاديا ، يشنف آذان هذا الشعب الجريح، وينسيه للحظة ذوي القنابل، والانفجار، ولعلعة الرصاص وأزيزه.

كما يتمنى أن تكون له القدرة على إيقاظ ضمائر العرب، والمسلمين، والذين غرقوا في ملاذهم، ونعمهم، وغطوا في نومهم...إنه يدين الخنوع العربي، والصمت العالمي.

ولا يقف عند هذا الحد، بل يتمنى لو يفتح القلوب، ويشقها ، وينظفها من سوادها، وحقدها، وظلمها وجورها. ويملأها بالمحبة، والخضرة، وحب السلام، وحب البشرية.

ويتعالى غضبه، ويشتد عندما يجد أولئك الذين لونوا أسنتهم بألوان معاكسة، ترضي المعتدين، ووضعوا على وجوههم براقع ، وأقنعة تناسب الحال. فهو يعتبرهم سماسرة لا يتورعون في بيع أوطانهم، وشرفهم، وكل شيء. لقد غيروا قبلتهم، وأصبحوا عملاء للاستعمار الجديد، وواقع الحال يؤكد ذلك :

ليتني أستطيع إيقاظ كل الضمائر
التي خلدت إلى النوم دون غطاء
ليتني استطيع بقر القلوب السوداء
وأزرع مكانها قلوبا خضراء
ليتني أستطيع أن أبصق
في وجوه كل السماسرة
كل الذين غيروا قبلتهم
وتوضأوا بدمائنا

ويمتلكه العجب من هذه الأمة التي تغطي عين الشمس، والتي لم تستطع أن تفعل شيئا. إنها تنظر وترى دونما حراك....بل هي تضحك من غلبها، وقهرها، لأنها أصبحت تعشق ذلك. واعتادت عليه. رغم أنها تملك نصف احتياطي العالم من النفط. وهذا يذكرنا بموقف الملك فيصل بن عبد العزيز إبان حرب أكتوبر 1973، عندما اعتبر البترول سلاحا يمكن استعماله في مواجهة القوى الامبريالية. لكن أمريكا الآن تسيطر على جل منابع البترول العربية، وتفرض على الكل عزف نفس النشيد، وترديد نفس الدعاء. ولا يستطيع أحد تغييره، أو الوقوف ضد التيار.

إن غضبه هذا يعطي الملامح الجلية على انتمائه إلى هذه الأرض المعطاء. فهو يقدسها، ويحبها ، ويخاف عليها بطش الحاقدين. إنه يحب هذه الأرض التي انسكب فوقها الدم، والدمع. إنه أمام هذه الغطرسة الامبريالية، لم يبق أمامه غير الأمنيات،

والحب الكتوم.
إنه نوع من الدفاع عن الأرض والأمة، لأن الألم يعتصره، لما يرى من مشاهد الدمار، والتقتيل، والتجويع، والصور الدامية التي تملأ كيانه، وتفجر أحاسيسه، وتشعره بالغبن، والحزن... فيزيده هذا إصرارا على الانتماء إلى هذا الوطن، والإشادة به، وبهذه الأمة.
وأمام هذه الهجمة الشرسة على الأمة العربية، والإسلامية في فلسطين، والعراق، وأفغانستان، وأمام قهقهة الأمة على حالها...والنشاط الزائد للسماسرة والعملاء، أصبح الشاعر يشعر بالغربة ، والتمزق، والضياع...
وأمام هذا الشعور يقارن حال الأمة بين الأمس واليوم، فيجد أن الأحوال تغيرت كثيرا. فبعدما كانت قاهرة أصبحت مقهورة. وبعدما كانت ذات حضارة، وبانية مجد وعلم، أصبحت أمة خمول ونوم، واتكالية... تستجدي مالها وقوتها من قوى الامبريالية... حتى المواطن لا يجد في بلده الأمان... فالمدن أصبحت سجونا، يعاني فيها الشعب العربي ، والإسلامي القهر والتعذيب، والحرمان، والتفقير ، والتجويع :

ما بال نجمنا أفل
نستجدي المال والعلم
ممن بالأمس كانوا آفة الجهل
ملوكنا عبيد عند أعتاب البيت الأبيض
شعوبنا يكبلها الجهل والصمت اللعين
عواصمنا سجون لمن قال الله ربنا
بالنار والحديد والتعذيب والترهيب
لمن رفع الفرقان وسار
والقدس تئن فمن يسمع صوت الجراح
تنادي أمة العرب والمسلمين

وهذا التمزق، وهذه الغربة التي يستشعرها سهيل عيساوي، تخلق فيه نوعا من الثورة والتمرد، ينتج عنها هذا الشعر الثوري الوجداني، أو شعر الثورة الوجداني، المتميز بالصدق العميق، والرؤيا الواقعية، والقيم العالية... والتي استطاع من خلالها التعبير وبصدق عن محنة الإنسان العربي في ظل هذا الواقع المرير... لأنه يؤمن في قرارة نفسه أنه ضمير الأمة، ولسانها.

كما يمكن القول بأن دلالة الحزن هذه التي غلفت المجموعة الشعرية كلها، قد طبعت الشعر الحداثي كله، خاصة في جانبه الوطنين والمقاومة...

10. تقنية القناع في شعره

إن شعر سهيل عيساوي ، لا يخلو من رومانسية، رغم مسحة الحزن التي تغلفه، ورغم التقريرية، والسردية التي سادته، وكادت تخرجه عن إطاره الشعري العام.

إنه في مجموعته(قصائد تغازل الشمس)، يبتعد عن القيود الشكلية التي تكبل القصيدة، وتشل الشعر. إنه متحرر في رؤياه الفنية، ولذلك لم يلتزم لا بالوزن ولا بالقافية.

وهذا لا يعني أنه متمرد على القيم، والمقدس، والموروث، بل هو يساير زمانه، ويعيش عصره.

لكن الجميل في هذه المجموعة، هو أننا في بعض قصائده، نجد الشاعر سهيل عيساوي يتقنع ، وربما ذلك لأسباب، منها :

- إضفاء الموضوعية، والدرامية على تجربته الشعرية : »وتخليصها من الغنائية المفرطة التي طغت على القصيدة العربية ردحا من الزمن. وذلك بإظهار مواقفه الذاتية الانفعالية في صورة درامية ، موضوعية« (محمد علي كندي، الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، مارس 2003، ص : 8).
- التفاعل البناء مع التراث، واستشراف المستقبل منه.

- الوعي بخطورة التعامل المباشر مع الواقع، وتعريته في محيط متخلف، ومتسلط.
وسهيل عيساوي ، يعتمد تقنية القناع، والتي يسعى من خلالها إلى أن يبتعد بشعره عن : »الغنائية، والرومانسية التي تردى أكثر الشعر العربي فيها« (عبد الوهاب البياتي، تجربتي الشعرية، - ملحق بالديوان-دار العودة، بيروت، 1972، ص: 38).
ويهدف : »إلى كسر حدة التدفق في عواطفه، وانفعالاته المباشرة، التي لم تعد شكل القصيدة ومضمونها، بل هي الوسيلة للخلق الفني المستقل، ليتسنى له كبح الطفرة الغنائية السائدة آنـذاك. وتقديم أعمال شعرية تتسم بالموضوعية والكثافة الرمزية. وليجعل من قصيدته عالما مستقلا عن الشاعر، وإن كان هو خالقها«(محمد علي كندي، المرجع نفسه، ص: 72).
لذا هو يلتجئ إلى القناع ذي الدلالة المتجددة. »الاختيار الدقيق والصائب للشخصية، هو الضامن لنجاح توظيفها، وتمكنها من النهوض بالمهمة التي يتوخاها الشاعر من وراء الاتكاء عليها« (محمد علي كندي، المرجع نفسه، ص: 74).
والقناع - كما يرى الدكتور جابر عصفور-رمز يتخذه الشاعر العربي المعاصر ليضفي على صورته نبرة موضوعية، شبه محايدة، تنأى به عن التدفق المباشر(جابر عصفور، أقنعة الشعر المعاصر، مجلة فصول، العدد 4/ 1984، ص: 123).
ومن خلال هذه التقنية المعتمدة، تصبح القصيدة: »انصهارا داخليا ، ونزيفا ونسغا حيا«(عبد الوهاب البياتي، تجربتي الشعرية، ص: 40). لأنه يعي أن هذا القناع يمكن الشاعر من خلق وجود مستقل عن ذاته...
فهذه التقنية تحقق له: »سكب الـذات ، أو بمعنى أعمق ، سكب حياة الأديب في الشخصية التي يخلقها« (ستانلي هايمن، النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ترجمة إحسان عباس وآخر، دار الفكر العربي، القاهرة، (د- ت)، ص: 146).
وقصيدته(حكاية فارس)، يستلهم فيها سهيل عيساوي التراث، ويعمل على إحيائه، حيث: >>نفث روح الحياة في شخصياته لحملها على تخطي زمنها الذي عاشت فيه، لتكون حضورا عظيما في حياتنا ومستقبلنا«(علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات

التراثية في الشعر العربي المعاصر، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، 1978، ص: 74).

فالشاعر سهيل عيساوي يستلهم شخصية الإمام علي، وحياته: ››ليعبر عن موقف يريده، أو ليحاكم نقائض العصر الحديث من خلالها« (إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1992، ص: 121).

والقناع شمل به سهيل عيساوي الأشخاص: (الإمام علي- المسيح- هولاكو)، وشمل به الأماكن أيضا: (بغداد- قندهار).

إنه في قصائده(حكاية فارس)، و(هولاكو الأمريكي)، و(شعبي والصليب)، يعتمد على توظيف فني جميل، وهو تعبيره بالشخصية التراثية: ››وفي هذه المرحلة لم يتغير فقط أسلوب تناول الشاعر للشخصية، بحيث أصبح يعبر بها بدل أن يعبر عنها، وإنما تغيرت- قبل ذلك- طبيعة علاقة الشاعر بالتراث من الأساس«(علي عشري زايد، المرجع نفسه، ص: 74) :››لم تعد مقتصرة على الحفظ والتدوين، والمتابعة أو المحاكاة، وإنما تعدت ذلك لتصبح علاقة تفاعل اختيارية، يختار فيها الشاعر ما يناسبه، وينهض بتجربته ويتراسل على هموم عصره وقضاياه. ويتبادل الشاعر والموروث الآخذ والعطاء(...) يرتد الشاعر إلى التراث ليمتاح من ينابيعه السخية ما يساعده على إيصال تجربته الحديثة إلى المتلقي، وفي نفس الوقت تكتسب هذه المعطيات التي استعارها الشاعر غنى وشبابا« (محمد علي كندي، المرجع نفسه، ص: 89).

وسهيل عيساوي اتخذ من هذه الشخصيات السالفة الذكر(الإمام علي- المسيح- هولاكو) اسمها عنوانا لبعض قصائده، كما اعتمد على بعض أفعالها وحياتها، دونما إلغاء أو تغييب لدوره كشاعر.

إن الشاعر سهيل عيساوي يعي جدا أن القناع وتقنيته، ما هي إلا استعارة موسعة، تفاعلية، وصورة رمزية وحية، منفتحة على كثير من الدلالات.

إنه يتحرك في هذه القصائد بوعي، راصدا لمشاهداته، وتصوراته في بناء درامية قصائده، ولوحاتها الفنية. وهذا ينم عن ثقافته الواسعة. وبالتالي ينصب جهده كله على:

»بناء الوحدات السردية بطريقة شعرية، تتجاوز مستوى الحكاية، لتقيم تفاعلا ديناميكيا عبر بناء المنظور بحدقة الشاعر لا القصاص.وهي حدقة سريعة في تحديد البؤرة وتكثيف الرؤية، وإضفاء المعنى على الحدث» (صلاح فضل، أساليب الشعرية المعاصرة، دار الآداب، بيروت، 1995، ص: 92).

11. دلالة المكان في شعره

إن للمكان في النص الشعري جمالياته،ووظائفه، وأبعاده ،ودلالاته. فحين: »يلجأ الشاعر إلى المكان، فإنه يسعى بذلك إلى التعبير عن مكامن نفسه ودواخله ، وتصوراته للحياة والوجود...فهو يعيش فيه، ويمارس تكوينه وأحلامه، وحيويته وموته،ويحمله تبعا لذلك العديد من الأبعاد النفسية والاجتماعية، والتاريخية، والثقافية والدينية» (علي آيت أوشان، الذاكرة والصورة، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2005، ص: 29).

ومن خلال المجموعة الشعرية(قصائد تغازل الشمس) ، يمكن أن نقارب المكان عبر مستوى أولي، نعتمد فيه على البعد البصري، المؤسس على القراءة الخاصة للنصوص الشعرية...حيث نكتشف من خلالها مكانية النص الشعري، والمرتبطة بالرؤية وبالوضع البصري.

ويرى الشاعر المغربي الدكتور محمد بنيس، أن الشاعر المعاصر يشعر بالقلق اتجاه المكان، ويواجهه دائما بنوع من التوتر، لأنه : ››تحدوه رغبة في تحطيم التقاليد البصرية التي اعتادها القارئ. فجعلت عينيه مركزتين على بنية مكانية تمنحه الاطمئنان، وتدعم توازنه الداخلي الوهمي...إنه يمتد بهذا التركيب ليحدث خلخلة ويدفع بهذا الاطمئنان نحو الشك والدخول في متاهة القلق». (بنيس، (محمد)،ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب: مقاربة بنيوية تكوينية، دار التنوير، ط1، 1985، ص: 68).

والمتلقي/ القارئ يتعامل مع النصوص الشعرية من خلال اتصاله الأولي من خلال مستويات المكان النصي : (الطابع الخطي/ الكتاب ، أو الكاليغرافي ، وتوزيعية الألفاظ والكلمات داخل الصفحة ، طول وقصر المقاطع الشعرية ، واستعمال علامات الترقيم ، والبياض والسواد ، وسلطة كل منهما).

كل هذه الدلالات السيميائية ، تجعل القارئ/ المتلقي يقف على أنساقه اللغوية : »إن الإنسان يدرك العالم إدراكا بصريا ، وهي خاصية يترتب عليها أن الناس - في معظم الأحيان- يرجعون العلامات اللغوية إلى بعض الأشياء البصرية/ المرئية المكانية. وهذه العملية تؤدي إلى إدراك معين للأنساق اللغوية...ومن ثمة يمكن اعتبار المبدأ الأيقوني ، والصفة البصرية من الخصائص الأصلية لهذه الأنساق اللغوية أيضا...»(غاستون باشلار ، جماليات المكان ، ترجمة ، غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية لدراسات والنشر والتوزيع ، الطبعة 2 ، 1984 ، ص : 18).

وفي المجموعة الشعرية (قصائد تغازل الشمس) ، نجد المكان يشكل جزءا من النص الشعري في تجلياته ، وأبعاده المتنوعة ، وفي صوره الشعرية المتسمة بالتركيب ، والتكثيف ، والإيحائية.

إن الشاعر سهيل عيساوي يؤكد على ارتباطه بالمكان ، والتفاعل معه ، تفاعلا تبادليا...وقد وظف هذه الأمكنة ليعبر من خلالها عن المعاناة الإنسانية ، وعن المحنة التي تعيشها الأمة ، وعن تعاطفه ، وتواجده معها ، وتماهيه بها...

إنه يبين عن علاقته الحميمية بهذه الأمكنة ، ومدى وعيه بها. ويتوخى من ذكرها وتوظيفها تذكير القارئ/ المتلقي بها ، حتى لا ينساها ، ولا تمحى من ذاكرته. وليقف - كذلك- على مدى المعاناة التي يعانيها شعبها. والتدمير المقصود ، والممنهج ضدها.

إنه يذكر القارئ بهذه الأمكنة ، ويؤكد له بأن لا ينسى أنها جزء من هويته ، وأصوله ، وجذوره..

وهكذا نرى المكان في قصائده (حين هوت بغداد ، ص : 15- أفغاني إن شاء الله ، ص : 22 - يا أمة الإسلام ن ص : 25 - حكاية فارس ص : 29).

وهي تمثل 28.57 % من مجموع قصائد المجموعة الشعرية.
والأماكن التي تحيل عليها، هي: (بغداد- سامراء- كربلاء- ألسنة النار- المتاحف- المساجد- المهد- العراق- ملجأ العامرية- الجبهة- القلوب السوداء- القبلة- النفق القديم- الدجلة- الفرات- قندهار-الحدود- البيت الأبيض- القدس- حقول الأفيون- أفغانستان- المدينة- القرية- بيروت- ساحات الوغى- وقعة الجمل- صفين- المحراب- سماء مغلقة- المدن- الجدران- زوارق العيون- غرف التحقيق المظلمة- كابل- سور الصين العظيم- العواصم العربية- سجون- الصليب- بيت لحم).
ومن خلال هذه الأمكنة، نكتشف كيف انخرط الشاعر سهيل عيساوي في المكان، الذي أصبح عنده ذا دلالة كبيرة. يحمل مجموعة من الإحالات، والإيحاءات، والمعاني...إن المكان يساوي الرمز عنده...
إن كل مكان من هذه الأمكنة يستثير في الشاعر مجموعة من الذكريات، ومجموعة من المواجد، والمواجع، والعواطف الجياشة...
كما يذكر القارئ/ المتلقي بالمآسي، والمعاناة التي تعرفها هذه الأمكنة.. إنها تساعد المتلقي/ القارئ على استعادة الأحلام والصور، والمواقف الإنسانية.
والجميل الذي نقف عليه، هو أن علاقة الشاعر سهيل عيساوي بالمكان، تنحو نحو البعد الرمزي للمكان، وتنحو كذلك إلى أبعاده الإنسانية ، والقيمية.
كما تكشف خباياه، وأسراره. بالإضافة إلى ممارسة عملية التحذير، والتنبيه، حتى لا يضيع المكان في حلم مقوض...أو حلم مؤسس على صور من الماضي البعيد...
إنه ينبه إلى حداثة المكان، وما يجري فيه الآن تبعا لمجموعة من الأسباب، والعوامل، والأحداث والظروف...
فالشاعر سهيل عيساوي يبين حركيتها، وأنها حية، تتفاعل مع الأحداث...فيصبغ عليها من كيانه، وروحه، ومشاعره، حتى نحس أنها تحيا بحياته، وتموت بموته.
إن المكان يحضر في قصائده بشكل كبير، مثقلا بكثير من الإيحاءات، والاستحضارات...وهذا المكان لا يرتبط بذاكرة الشاعر.ولا بذاكرتنا العربية والإسلامية،

ولكن يرتبط أيضا بما يعرف العالم اليوم من متغيرات وأحداث...وهنا تتولد الحسرات والأماني. وبالتالي التفاؤل...

فللمكان امتداد في كيان الشاعر، وحضور قوي فيه...

إن كل مكان يحدده الشاعر سهيل عيساوي، يذكرنا بماضيه، وحاضره، ومآسيه. فملجأ العامرية مثلا، يذكرنا بالمأساة التي عرفها الشعب العراقي، حيث ثم أثناء الهجوم الأمريكي على بغداد في التسعينيات قصف هذا الملجأ الذي كان به العديد من الأطفال العزل. فتم تدميره بالكامل، وقتل من فيه.

كما أن القدس وبيت لحم، تذكراننا بالحركة الاستفزازية التي قام بها أرييل شارون عندما زار المسجد الأقصى. فكانت الانتفاضة، ، وقتل الأطفال الأبرياء ومن جملتهم : محمد الدرة.

إن كل مكان استحضره الشاعر سهيل عيساوي ، يجر وراءه مجموعة من الصور، والمشاهد الدامية، والتي تجعلنا نشد على قلوبنا من الألم، والحسرة.

إن سهيل عيساوي يمارس من خلالها حلمه، وعلاقته، واستذكاره الماضي، ومعاينة الحاضر واستشراف المستقبل...

إنه يمارس من خلالها ثورته، وسخطه، وتمرده...وإدانته للهمجية، والاعتداء، والغطرسة...

إنها أماكن أثارت مشاعره، ودفقت أحاسيسه، وأسالت وجدانه...وأسالت دمعه...ورفعت من سخطه...

إن المكان أصبح عند الشاعر سهيل عيساوي يعبر عن أزمة شعب، ومحنة أمة...

12. الجمالية في شعره

الإحساس بالجمال شيء إنساني، وأن: »الإحساس بالجمال شعور موجود لدى الإنسان البدائي مثلما هو عند أكثر الناس تحضرا. وهو موجود في كل مكان، وفي كل شيء.وهذا الإنسان يحسه ويدركه إذا شاء. يقول محمود إسماعيل: »كل شيء جميل إن وعينا الجمال» (هي فاطمة الزهراء، جمالية الرمز في الشعر الصوفي: محيي الدين بن عربي نموذجا، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي الحديث، تحت إشراف الدكتور محمد مرتاض، س-ج: 2006، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر).

والجمال وتذوقه من خصائص العقل البشري، ومن المعاني الوجدانية، والروحية...

فالجمالية توحد الوعي: »وتصبح طبيعة الشاعر ومحيطه كلا واحدا. وقد أطلق جون ديوي على هذه الحالة نسق التجربة العام، والذي يحدها هو: أن كل تجربة هي ثمرة تفاعل بين الكائن الحي، وأحد جوانب العالم الذي يعيش فيه» (هي فاطمة الزهراء، المرجع نفسه، ص: 57).

فالجمالية شعور إنساني، ناتج عن تفاعل الإنسان بمحيطه.

والجمال نوعان: حسي، يحدث اختلاجات، وتأثيرات في النفس، ويزول بزوال المؤثر.

أما الثاني، فهو معنوي، تمثله: القيم، والمواقف، والاتجاهات، وهو دائم التأثير، والإحساس بالجمال درجات متفاوتة. إذ يستحيل وصفه بدقة. وهنا قال بايير: »القانون الأوحد للجمال، أنه ليس للجمال قانون» (بايير، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، ترجمة زكرياء إبراهيم، دار مصر للطباعة، ص: 376).

ويرى ويكلمان: »أن الجمال صفة تطلق على كل ما يعطي لذة منزه عن الغرض. فهو كالمياه الصافية المستقاة عن عين صافية، وهي تكون صالحة للشرب كلما كانت خالية من الطعم» (شارل لالو، مبادئ علم الجمال، ترجمة، مصطفى ساهر، 1959، ص: 17).

فالجمالية تعلم : »تهتم بالجمال في الطبيعة والفن، وأصبح هدفها الاستمتاع بجمال هذا الفن، وإدخال السرور والبهجة على متلقيه في مختلف ضروبه» (هي فاطمة الزهراء، المرجع نفسه، ص : 59).

ومن هنا نرى أن الجمالية تقصر مهمة الأدب على الجانب الفني فيه، الذي يجلب المتعة الفنية إلى المتلقي. فهي تنظر إلى الأدب على أنه تجربة إنسانية، فنية ، ذات فائدة وإمتاع.

والشاعر سهيل عيساوي اهتم بالجانب الجمالي في شعره، حيث اختار لصوره ألفاظا سهلة، ممتعة، واضحة، خالية من كل نفور، أو غموض.

كما حرص على توفر جمله الشعرية، وألفاظه على الانسجام، والتوافق، والتماسك، وهذا الاختيار، والانتقاء للألفاظ الدقيقة والواضحة، والملائمة ، تكشف بوضوح عن صوره، وأفكاره، ومشاعره، وأحاسيسه.

إن القارئ لشعر الشاعر الفلسطيني سهيل عيساوي، يقف على جمالية وفنية خاصة في شعره، ذات دلالات وأبعاد فنية. وهي متعددة الأوجه. ويمكن حصرها في شعره في :

1. البناء الروائي، والدرامي في قصائده :

إن الشاعر سهيل عيساوي متطور، ومجدد في أساليبه الشعرية. وهو مرتبط بالحداثة التي عرفها الشعر الفلسطيني.فهو يؤمن بتأثير المحيط على الأدب بصفة عامة...ولذا نجده في شعره يخرج عن أساسيات النص الشعري... ويتبع الأسلوب الذي سار عليه جل الشعراء الفلسطينيين.ومن ثمة اهتم في شعره بالأسلوب الروائي . فاهتم بالمكان والحبكة، والزمان والشخصيات، والحدث، دون المساس بجماليات النص الشعري.

وفي مجموعته(قصائد تغازل الشمس)، نجد قصيدته (حكاية فارس) يستلهم فيها شخصية الإمام علي ابن أبي طالب، والتي قسمها إلى 3 أجزاء :

- جزء يهتم بموقفه الاستشهادي، حين آمن بالدعوة المحمدية، وهو في التاسعة من عمره،. وافتدائه لرسول الله ، لما نام في فراشه ليلة الهجرة، وشباب قريش وأحلافهم

أمام بيت رسول الله يترصدونه. ولما دخلوا البيت عازمين ضرب النبي ضربة رجل واحد حتى يتفرق دمه بين قبائل العرب، وجدوا عليا في فراشه.

- الجزء الثاني: ويعرض فيه مشهد صراعه السياسي، وبداية المحنة... وصراعه، لدرء التهمة عنه في مقتل عثمان بن عفان. وصراعه كذلك مع خصومه السياسيين حول الإمامة والخلافة، والأحقية بالحكم.

- الجزء الثالث: اغتياله من بعض أتباع الخوارج فجرا، وهو متوجه إلى المسجد لأداء صلاة الصبح، على يد أبي ملجم.

وهذه القصة/ السيرة عن علي ابن أبي طالب، تجري بأماكن متعددة تنتقل من مكة إلى المدينة، إلى الشام، والعراق...وهو تنوع مكاني يستلزم تنوعا زمنيا أيضا.

ما حنى قامته
لآلهة التمر والحجر
وقع الرسالة على روحه كالماء السلسبيل
فدى بروحه
نور الرسالة
وعشرة من سيوف قريش على نحره

وفي قصيدته (الخميس الأسود)، نجده يعرض لنا قصة شباب خمسة، وكيف كانوا ضحية حادثة سير مهولة، مستعرضا صورا من حياتهم في فنية جميلة:

خمسة من الشباب
فتية سواعدهم
يهزون سرير الصبح
والإعلان عن فجر جديد

ويبين كيف أن هؤلاء الشباب الخمسة، كانوا زينة الشباب، لا يتوانون في البحث عن قوتهم. ثم ينتقل من بيان سيرة حياتهم ليحدد لنا زمن الحادثة، وسببها. ففي الصبح وهم عائدون في سيارتهم، أخذت السائق غفوة، كانت نتيجتها الخروج عن الطريق، وانقلاب السيارة، وموت الشباب الخمسة:

الصبح مذعور
أخذته سنة من النوم
لا يرى معالم الطريق بوضوح
.....
ركلوا ببساطيرهم
رذالة البطالة
وأفواه الفقر
اختلط الحديد باللحم
تسارعت الأرواح إلى السماء
سقطت عن الشجرة خمس ورقات

كما نجد في قصيدته (الروح تقبل السماء) يستعرض قصة واقعية، تتعلق بابن خاله (يوسف). هذا الصبي الذي أخذته يد الغدر على حين غرة، عندما داسه سائق أرعن بسيارته، وترك الأسرة مكلومة، حزينة على فقدانه.

إنه يتبع في هذه القصة/ القصيدة خطا دراميا تصاعديا، مع الاهتمام بالجانب النفسي فيها، ومدى تأثير الصدمة على المقربين من الضحية، ومن جملتهم الشاعر نفسه.

إننا أثناء قراءتنا لهذه القصيدة/ القصة، نتتبع يوسف في حياته القصيرة، وحالة أهله من خلال مشاهد، وصور مترابطة ترابطا منطقيا.

وقد اعتمد فيها الشاعر سهيل عيساوي، تقنية السرد المشهدين حيث أنه توسل الصورة،

والمشاهد ليعبر عن هذه الدفقة الشعرية المتميزة، والتي لا تخلو من درامية. وهنا تكمن فنية شاعرنا سهيل عيساوي.

2. الوعي الجمالي:

إن الشاعر سهيل عيساوي يؤمن بالوعي الجمالي. ولذا اهتم بالمعنى واسسه الجمالية، دونما اهتمام بالشكل. وبالتالي ركز على الذوق الفني والجمالي، وما يمتاز به المتلقي/ القارئ من حس ذوقي ن يجعله يتكشف الجمال، والفنية في اللفظ، والصور ، والمعاني.

وهذا الوعي الجمالي ، جعل الشاعر سهيل عيساوي يشعر بالحرية التعبيرية في شعره: »إذ إن اعتبار الحرية شرطا من شروط الجمال قد دفع إلى اعتبار الشكل الإيقاعي الكلاسيكي شكلا عاجزا عن استيعاب الانفعال الشعري في انطلاقته، وحيويته، شكلا لا يتلاءم والحرية التعبيرية من جهة، ولا يتلاءم من جهة أخرى، والنظرة الجمالية الجديدة. وهو ما اقتضى إيجاد شكل إيقاعي يحقق ما قد عجز عنه ذلك الشكل« (د. سعد الدين كليب، وعي الحداثة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1997، ص: 9).

ولذا اعتمد سهيل عيساوي نظاما إيقاعيا مفتوحا، غير محكوم بضوابط نمطية، جاهزة... بل اعتمد على انفعاله الشعري، منتظرا من القارئ/ المتلقي الوصول إلى هذا الانفعال ن والإحساس به، وإدراكه، واستخلاص الفنية والجمالية منه. بل يطلب منه أن يبادله التأثير، والتفاعل.

3. التمسك بالشكل الفني الحداثي:

والقارئ لقصائد هذه المجموعة(قصائد تغازل الشمس)، يتبادر إلى ذهنه أن الشاعر سهيل عيساوي يهمل الشكل الفني في شعره الحداثي هذا. إلا أن الأمر عكس ذلك تماما...

فهو يولي اهتماما كبيرا للشكل والرؤيا، لأنه يعي أن :»الشكل والمضمون وحدة

في كل أثر شعري حقيقي. وهي وحدة انصهار أصيل. ويأتي ضعف القصيدة من التفسخات، والتشققات التي تستشف في هذه الوحدة» ، (أدونيس، زمن الشعر، دار العودة، بيروت، ط3، 1983، ص: 15).

ولذلك نجده متمسكا بالشكل الحداثي للقصيدة العربية، مع إعطاء الأسبقية، والأهمية للرؤيا الشعرية...إذ ناعم بينها وبين حركة الواقع، وجعل شعره يصدر منها.

4. الثورة على القديم وأساليبه:

لقد جارى الشعر الحياة، وأحداثها عند سهيل عيساوي. وبذلك كان شعره فيه ثورة على القديم، وأساليبه..وثورة على التقليد، والمحاكاة والنمذجة...

فقصائده لا نجد فيها التزاما بالقافية، أو رويها...ورغم ذلك اهتم بالجانب الإيقاعي، والموسيقي في شعره.

فقد جانس بين الحروف، والكلمات، وناغم بينها...وعمل على التناسق بين الألفاظ تركيبا، وتصويرا.

كما أن هناك ميزة جمالية ، وفنية في شعره، وهو خلو شعره من التعقيد، ومستكره الألفاظ، ووحشي الكلام. والابتعاد عن غريب اللفظ، ووحشيه. فهو يقدم صوره ومعانيه بكل وضوح للمتلقي/ القارئ.

إن الشاعر سهيل عيساوي يعي أن اللغة لم تبق الأداة الوحيدة التعبيرية في الشعر. بل هناك عناصر أخرى أساسية، ومنها التجربة الشعرية، والرؤيا الصادقة، وطريقة النسج، والصورة، وحسن السبك، والتركيب، والصياغة، وحسن الاستهلال.

5. توظيف بعض الأساليب البلاغية واللسانية:

المتتبع لقصائد هذه المجموعة الشعرية (قصائد تغازل الشمس)، يلفت انتباهه توظيف الشاعر سهيل عيساوي لبعض الخصائص الأسلوبية، والبلاغية، والتي أعطت لشعره بعدا فنيا ، وجماليا.

فنجده يوظف فن التقديم والتأخير، حيث يقدم اللفظ على عامله، أو اللفظ على اللفظ، وذلك لتنبيه القارئ/ المتلقي لفداحة الأمر، وخطورته، وتحذيره كذلك من نسيانه.وأن يولي ما يحدث في المنطقة العربية والإسلامية، العناية والاهتمام. وكنموذج على هذا التقديم والتأخير ، قصيدته(حين هوت بغداد) :

حين هوت بغداد

كان المعتصم يقف حائرا

على

أعلى ملوية سامراء

تنحدر من مقلتيه دمعة خجولة عذراء

ومن كربلاء تطاير شعر

لعله الحسين نتف لحيته

عفوك بغداد

العذر لتاريخك المجيد

لقطرات فوارس الإسلام

كما أن القصائد يغلب عليها الإخبار، ولا تتضمن إلا **19** إنشاء يتوزع ما بين طلبي ، وغير طلبي.

كما نجد توظيف أسلوب الفصل والوصل، واعتماد التوكيد، وأسلوب النداء.

وسهيل عيساوي يسعى عبر فضاء النداء إلى تركيز المقولة الشعرية للقصيدة التي تجلت تجليات متعددة ومتنوعة، معتمدا المقاطع الصوتية ، المنشئة للصور، والمشاهد الشعرية : »كل هذه العناصر تتشكل بوصفها مجموعة من قوى ، تشحن الأنا المتمركزة حول ذاكرتها ،لمواجهة الواقع المكاني الإشكالي«(د. فيصل صالح القصيري، مجلة الموقف الأدبي، العدد **430**، شباط **2007**).

هكذا نجد أن هذه السمات كلها مجتمعة ميزت شعر سهيل عيساوي، وصبغت عليه جمالية، تتطلب من القارئ/ المتلقي الكشف، والحسن التدبير، والرؤية الجيدة.

6. موضوعة الحزن ، وبنية الثنائيات

عندما نبحث في دلالة النصوص الشعرية بالمجموعة، نجد تداخلا في بناها، مؤسسة على ثنائية : التشاؤم/ التفاؤل، وما ينتج عنها من صراع، وتجاذب بين طرفي الثنائية الدلالية.
والشاعر سهيل عيساوي في مجموعته : (قصائد تغازل الشمس)، يتحدث عن مواضيع، وتيمات يؤلف بينها عنصر واحد، وهو تصوير الهم والحزن الإنساني، والذي يعتمد في تصويره على إيحاءات، ودلالات، وإشارات متعددة، ومتنوعة...
لكن الجميل، هو أن هذا الحزن، تنبثق من جوانبه بارقة أمل... دليلها التفاؤل الذي يبقى مشتعلا في قرارة النفس رغم الأحزان، والمآسي والجروح...
فالشاعر سهيل عيساوي ، يعيش حالة الحزن والأسى، لواقع الحال الذي تعيشه الأمة، والأرض العربية والإسلامية. ولكن رغم ذلك، يهل الأمل ويشع النور :

بغداد يا مهد الحضارات
حتما ستشرق شمس الحرية
وتنقشع غيوم الشيطان

ودلالة الحزن التي تسيطر على المجموعة الشعرية، لها مرجعيات أساسية، تشكل البنى الدلالية العامة للنصوص الشعرية التي تتضمنها المجموعة. ومنها :

1. البنية الانفعالية، أو التأثرية :

وهي تبين موقف سهيل عيساوي من الأحداث، وتفاعله معها.
فالمشاهد اليومية، والصور المعروضة بالقنوات التلفزية، والأخبار المتناقلة، تجعل الشاعر سهيل عيساوي يشعر بالحزن ، والكمد لما تعرفه بعض المناطق العربية ، والإسلامية من تقتيل، وهجمات وحشية، شرسة... وبالتالي، ينتشر الحزن عبر كل القصائد بدرجات متفاوتة.

2. البنية السياسية :

إن حزن الشاعر سهيل عيساوي، يمكن إرجاعه للأحداث السياسية التي يعرفها العالم الإسلامي ، والعربي...وللحال- أيضا- الذي آلت إليه الأمة، من خنوع، وصمت، وإذعان، وتقهقر...

ويؤيد هذا ، الزمن التوثيقي لهذه المجموعة الشعرية، أي زمن إصدار المجموعة، ولو أننا نفتقر إلى زمن كتابة النصوص الشعرية...

إن سنة الطبع، والإصدار، تبين فترة القلق الذي يعيشه العالم العربي، والإسلامي، ومازال يعيشانه...

كما تحيل على الأحداث التي عاشتها بعض مناطقنا العربية، والإسلامية، والتطورات، والأحداث التي عرفها العالم... والنظرة التي أصبح ينظر بها إلى الإسلامي، وإلصاق صفة (الإرهابي) به...

إن الحزن في المجموعة الشعرية (قصائد تغازل الشمس)، ذات إسقاطات كثيرة... تبين قلق الشاعر، وتعبيره عن قلق الأمة كلها...

وننتقل في دلالتها من مفهوم الانفعال إلى دلالات جديدة، وهي : أنها أصبحت سمة، وعلامة واقع مترد، يغلف أرضا، ومكانا معينين زمانا ومكانا...

كما نجد مدلول الحزن يأخذ صيغا، ودلالات تسبح في نفس المجال، من مثل : السقوط (هوت)، والحيرة، والبكاء، ونتف الشعر، والصمت، وشل الحركة، والاحتراق، والنهش، والسرقة، والزفير، والأنين، والجوع، والاغتيال، والألم، والجراح، والحزن الرابض، والفقدان، واللهيب، والخلود إلى النوم، والسمسرة، وتغيير القبلة، والتوضؤ بدم الأبرياء، والنفق، والقتل، والتصليب، والعجز، والتعذيب، والترهيب، والذعر...

وكلها دلالات، تبين واقع الحال، والجو الذي يسود المنطقة العربية، والإسلامية.

3. البنية التاريخية :

وتمثل هذه البنية المرجعيات التاريخية التي اعتمدها الشاعر سهيل عيساوي، وأسقطها على واقعنا الحالي، بسبب تشابهها، وتطابقها من حيث النتائج، والأفعال...والتي تتشارك كلها في التشاؤمية، والحزن...

لكنن مقابل هذا نجد نسمة تفاؤلية في ثنايا القصائد الشعرية، ناتجة عن قناعات الشاعر، وإيمانه بالنصر رغم كل المحن... مستندا في ذلك إلى التاريخ، وعبره...

والجميل في هذه النصوص، هو أنها تحت القارئ/ المتلقي على القراءة الناقدة، والتي من خلالها يقف على دلالات أخرى ضمنية...

كما تحفزه على التأويل، والافتراض، وتمثل دلالات، وبنى أخرى خفية، تغني قراءاته، ونظرته للنصوص الشعرية...

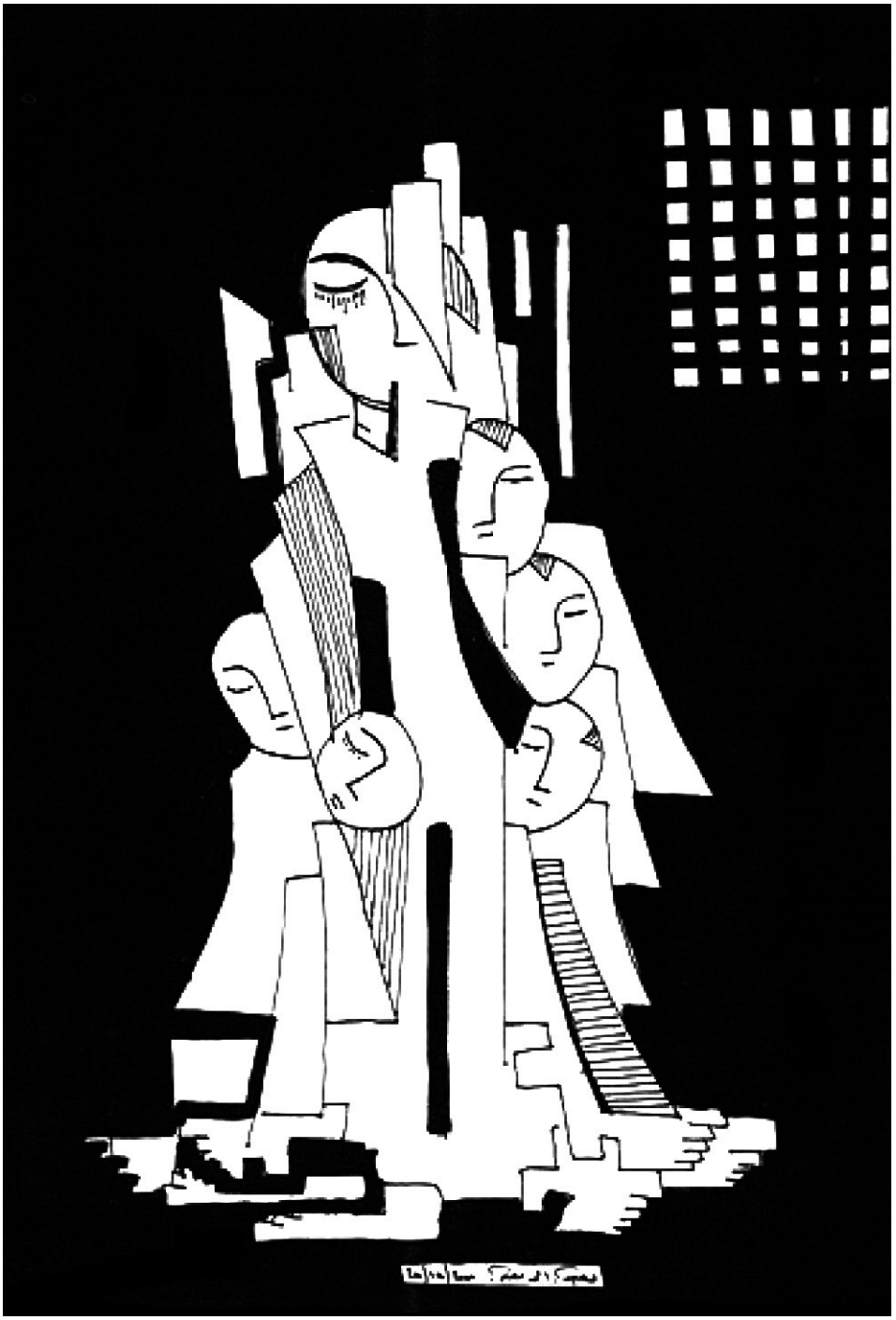

الفصل الثالث

ما قيل عن سهيل عيساوي

نوعية النص في نتاج الشاعر سهيل عيساوي

بقلم: غسان حاج يحيى

توطئة :

الشاعر الشاب سهيل عيساوي وجد طريق الصواب بالتعبير عن نفسه بالنثر ، إن لم تطعه القصيدة في قول ما يريد ، وهذا ما لم يفعله الكثير من الشبان حين يكررون أنفسهم في عملية كربونية ، مما يدفع بالقارئ إلى أتون الملل وحدود النفور .

أمّا سهيل فاستطاع العبور بذكاء إلى سبل التعبير الكثيرة ، فأفلح بذلك ، حتى وإن كانت لنا بعض الملاحظات على بعض نتاجه! .

مدخل :

سهيل عيساوي شاعر شابّ من كفر مندا ، يكمل دراسته الأكاديمية في جامعة بئر السبع ويدرِّس في إعدادية راهط. منوّع النشاط الثقافي والأدبي والرياضي ، أصدر أربع مجموعات أدبية تنوّعت بين الأشعار والخواطر والمقالة والجملة المركّزة التي لامست الحكمة .

الموضوع :

في نتاجه الأول (وتعود الأطيار إلى أوكارها) عبَّر سهيل عيساوي عن مشاعره ، أحلامه وأحاسيسه عبر القصيدة الحرة والتي صاغها بأسلوبه الخاص وأهداها للشاعر الراحل ميشيل حداد فارس القصيدة الحرة في بلادنا ، وكانت المجموعة بمجملها كاندفاع البدايات .

أما في نتاجه الثاني (نظارتي) ففاجأنا بشكل كتابي مغاير عن نتاجه الأول . فقد ضمَّ الكتاب في قسمه الأول خواطر مركّزة في جمل مقتضبة كالحِكَم ، وضمَّ في قسمه الثاني خواطر عادية في مواضيع شتّى / حياتية .
مما كتبه في خواطره المركّزة نقرأ هذه النماذج :

"لو أظلّ أكتب بعد الموت لرحّبت به".
"كلّنا نجيد الثرثرة ولكن مَن يجيد الصمت".
"كلّما اكتسبت صديقاً جديداً أضفت إلى عمري يوما".

وفي نتاجه الثالث (فردوس العاشقين) مزج بين القصيدة والمقالة والخاطرة في أبواب الكتاب الخمسة ، فجاء نتاج هذا الكتاب أشهى وأرقى من نتاجه السابق وأنضج . أما نتاجه الرابع (وتشرق أسطورة الإنسان) فكان مجموعة شعرية ، وقد كتب مقدّمتها الشاعر ميشيل حداد قبل وفاته وهي قصائد على النمط الحر . يقول في نموذج منها :

"على ابتسامة شنقت في فجرها / على هوى ضاع في الهواء
حارقا وراءه ألف ليلة / كانت نهاراً / وألف رسالة عشق
كأنّها ما كانت".

مجمل النصوص:

تعددت الأشكال في نتاج الشاعر سهيل عيساوي، بين القصيدة الحرة والمقالة والخاطرة والجملة المركّزة، فنوّع بالأسلوب والموضوع وبذلك نجا من التكرار الممل الذي يقع به الشعراء الشبان حين يكتبون على نفس النمط جلّ إنتاجهم .

خلاصة:

نتاجه المنوّع في إصداراته الأربعة شدّنا إلى ما يقوله ، ولكنّه مطالب بانتقاء الكلمة الشاعرية الأنيقة ، وإثراء معجمه الخاص وإجادة الألوان المختلفة من الصياغة الشعرية في نتاجه ، فهذا يضيف القوة والتنويع إلى رصيد إبداعه ويفتح له آفاقاً أخرى لم يطرقها من قبل.

ورغم كلّ شيء سهيل عيساوي شاعر شاب متميّز بين أترابه لاجتهاده المكثّف في شتّى الميادين ولتعاطيه ألوان أدبية يعجز عن نتاجها الكثير من أقرانه.

تحية لهذا الشاب العصامي، مع تمنياتنا له بالتوفيق ، والله الموفق .

المواكب العدد 3 + 4 1999

مسك الخواتم :
قراءة في باكورة سهيل عيساوي

بقلم: مصطفى مراد

إحدى عاداتي الطيبة أنني أضع الملاحظات على كل كتاب أقرأه. ويحدث أحياناً أنني أعيد قراءة كتاب ما ، بعد فترة قد تطول أو تقصر ، فيحدث عندها أن تتوفّر لديّ الفرصة لمقارنة ما لمسته في القراءة الثانية بما لمسته وسجلته في القراءة الأولى .

وإحدى عاداتي السيئة أنني أُستَفَزُّ سلباً أو إيجاباً ، فأقرر أن أكتب عن كتاب ما ، إيماناً مني أنّ صاحبه يستحق التشجيع ولفت النظر ، ثم أظلّ أرجئ ذلك حتى تتراخى الخيوط وأهمل ما كنت نويته .

وكم أهملت ما نويت ، وكم كانت نواياي حسنة ، وكم هم كثيرون الذين يستحقون أن نشدّ على أيديهم . ومن هؤلاء الكثيرين ذلك الشاب ، سهيل عيساوي ، الذي يظلّ يفاجئنا بنشاطه ، فيثير عندي نوازع الغيرة على هذه الهمة العالية وهذه المواظبة المحمودة .

فإذا كان سهيل عيساوي قد أعلن عن نفسه في مجموعته الشعرية الأولى " وتعود الأطيار إلى أوكارها " قبل نحو خمس سنوات فقط ، فإنّه يكاد يسبقني بعد أن أصدر في أربع سنوات فقط ثلاثة كتب غيرها ، يُضاف إليها مجموعة مشتركة قام بإعدادها ومجلة أخرى وصلتني مؤخراً هي " الفانوس الجديد " . هذا بالإضافة إلى نشاطات أدبية أخرى أتابعها ، مثل تنظيم أمسيات شعرية وندوات أدبية وغير ذلك .

هنيئاً لسهيل عيساوي على هذا النشاط . ومَن مثله يستحق أن يُشار إليه ، ومن مثله يستحق أن نعينه على مؤامرة الصمت والإهمال التي يجيدها بعضهم وبعضهم . ولست منهم . ولست منهم .

على الصفحة الأخيرة من باكورة سهيل عيساوي " وتعود الأطيار إلى أوكارها " الذي صدر عام 1994 ، والذي عدت إليه بعد قراءة قصيدته الأخيرة في مجلة الفانوس الجديد فلفتت نظري ، وجدتني قد كتبت ما يلي ، (وأضع النص الذي سجلته على الكتاب كله) :
قرأته للمرة الأولى في 30 / 6 / 1994 ،

1. يعرف كيف ينتهي .
2. يعرف كيف يبدأ .
3. لا يلتزم قافية إطلاقاً وهذا شرط شعر النثر.
4. القصائد هي خواطر وأفكار .
5. متنوّع الأغراض ويكتب عن الشعر وعن المرأة وعن الوطن .
6. عنده أفكار جديدة .
7. وبعض التشبيهات والصور الجميلة .
8. أخطاء طباعة كثيرة .
9. كل المقطوعات قصيرة وجاءت في صفحة واحدة فقط .
10. هنالك ثلاث مقطوعات جاءت في صفحتين .
11. يكتب بتلقائية وعفوية .
12. الكتاب بدون فهرس .

فكأنني إذًا ، هنا ، قد أتممت ما جاء في العنوان ، وأنجزت ما ادّعيته هناك ، من كون هذا النص قراءة في باكورة سهيل .
يجوز.... !
غير أن أخي غسّان حاج يحيى لن يغفر لي أنني أشرت إلى خلوّ الكتاب من فهرس . فاستعملتها هي ، وهي الفارسية . أما الصحيح الصحيح فهو أنّ الكتاب يخلو من قائمة محتويات ، وهذا أحد الأخطاء الكبيرة في الكتاب . أمّا الخطأ في استعمال اللفظة الفارسية ، فقد درجت من جهتي على تجنبه فيما أصدرته من كتب ، بعد ملاحظة ذلك الغسان .
وسأرتكب خطأً أكبر إذا لم أنبّه إلى بعض النصوص وبعض المواضيع التي استوقفتني

في باكورة سهيل .

* * *

إنّ مفتاح لغز كتابات سهيل ، حتى الكتابات النثرية منها ، وهي ما قرأناه لاحقاً في كتابين آخرين له ، هو أنّه يكتب بعفوية وتلقائية . إنّه ببساطة ، يسجّل ما يجول بذهنه ، ويسجّل مشاعره . والعفوية هي أهمّ شروط الشعر .

الشعر هو تدفّق .. تفجّر .. هو الكتابة بدون تخطيط . فإذا جاء النصّ كذلك ، وعرف كاتبه كيف يبدأ وأين ينتهي ، مسجّلاً تلك الدفقة الشعورية بصدق ، فإنّ ما يضعه هو قصيدة ، إذا أحسن ، أيضاً ، وضع خاتمة لها .

وتختلف القصيدة عن سواها من الأشكال الأدبية ، في رأيي المتواضع ، من حيث كونها عملا غير مبرمج ، وغير معدٍّ سلفاً ، بالإضافة إلى ضرورة توفّر الشروط الفنية للشعر ، من صورة مبتكرة ولغة موحية وتكثيف للفكرة .

وأستطيع أن أدّعي أنّ سهيل قدّم لنا عدداً من النماذج الجديدة في باكورته ، بالإضافة إلى أنّ هناك عدداً من النماذج الأخرى . دون أن نغفل أننا نتناول باكورةً لشاعر شابّ .

وأكثر ما لفت انتباهي في أغلب ما استوقفني من نصوص باكورة سهيل ، أنّ القصيدة تظلّ تتقدّم حتى تصل حدَّها في النهاية ، وأنه يتوقف حيث يجب أن يتوقف ، فتأتي الخاتمة راضية مرضية ، توفّر للقارئ ذلك الشعور بالمتعة ، الذي يجب أن يوفّره النص الأدبي .

وقد كانت خواتم أغلب القصائد موفقة . وكنموذج لقصيدة جيدة أشير إلى " كتاب مفتوح " (ص 26) ، وأضع نصفها الأخير :

" عجباً ... قرأ الأمّيون باكورة نحسي
رغم التعتيم .. والتضليل .. والتمويه ..
رصدوا كلّ خواطري
عيناي تقولان كلّ شيء بصمت مطبق

أثر خطواتي يوحي بالمكتوم
يا إلهي .... لقد كنت كتاباً مفتوحاً "

وهذا نموذج آخر من قصيدة "أنا عربي":

" قسمات وجهي .. تقول أنا عربي
نبرات صوتي الجريحة .. تقول أنا عربي
براءة عينيّ .. هامتي الشامخة
والجراح على جسدي
ونظرات الغرباء لي
وإهانة الشرطي لي تقول أنا عربي
كلّ شيء حواليّ يشهد
أنني عربي" .

لنلاحظ كيف ينهي الشاعر هذه القصيدة السياسية بهدوء ودون ضجيج ودون لجوء إلى الشعارات الطنانة الرنانة. إنّ العفوية التي يكتب بها هي التي تقف وراء هذا النجاح . هذا بصرف النظر عن كون هذه القصيدة بالذات خالية من أيّة صورة جميلة يمكن أن تستوقف القارئ . ولكنها ، كقطعة متكاملة ، قصيدة جيدة ، رغم ذلك النقص.

نفس هذا الابتعاد عن الشعار نلاحظه في قصيدته " اقتراب الفجر " التي تتحدث عن الانتفاضة ، والتي ينهيها كما يلي :

" أبناء عمومتنا
لم يعرفوا أنّ الله من السماء السابعة
كان ينظرهم بعين الغضب
وينذرهم .. وينذرهم ..." .

هكذا، وببساطة تستوقف القارئ ، ينهي سهيل أغلب قصائد باكورته .
ولنلاحظ الفرق بين النص أعلاه ، وبين نموذج آخر رديء ، أختار أن أورده ، يتناول نفس الموضوع / الانتفاضة :

"قالوا : لِمَ تبكي؟
قلت : كيف لا أبكي
والوطن الحبيب في الأسر
بيد أني كفكفت دموعي
بعد أن أيقنت أن النصر للحجر" .
("تعليل" ص 54)

هنا .. حاول سهيل أن يقفي ، فجاءت محاولته ضعيفة جداً . بل إن القافية المتوخّاة جاءت مكسورة ، لأنّ " الأسر " لا تلتقي مع " الحجر " في القافية .
ونفس هذه الملاحظة يمكن أن نسوقها حول قطعة " أنا لن أنسى " على الصفحة التالية ، التي تتناول مجزرة كفر قاسم. يقول هناك :

" والجوع يشقّ ثوب الطفل
والأسود يغادرونها
تحت التهديد والقتل " .

تعمّد الشاعر هنا أن يقرن "الطفل" بـ " القتل " سعياً وراء القافية ، فجاء المعنى هشاً ضعيفاً ، علاوة على كونه مكروراً . وهذا ما يجنيه تعمّد إحراز القافية ، وهذا ما نراه شائعاً في كتابات الشعراء الشبان ، الذين يفعلون ذلك مفترضين أن وجود القافية تدليل على قدرتهم ، في حين أن القافية تصبح مقبولة ، لا ضرورية ، في الشعر المرسل الذي

يتحقق فيه شرط الوزن . أما ما جاء منثوراً (وهو الشعر الشعر ، كما أرى ، وهو النتاج الحتمي للتلقائية والعفوية ، التي هي شرط النص الشعري) فلا يحتاج إلى قافية .
يظلّ أن أشير إلى بعض الصور الشعرية التي استوقفتني في باكورة سهيل ، والتي هي من " الضرورات الفنية " للكتابة الشعرية ، ولكن دون أن يصبح وضعها هدفا بحدّ ذاته ، بحيث تسيطر على القصيدة وتثقل كاهلها وتسيء إليها ، بدل أن تفيدها ، وهذا ما ألاحظه عند قراءتي للكثير من النصوص الشعرية لشعراء شبان . ومن ذلك :

1. " اضطجعوا على أمواج البحر
همسوا لحبّات الرمل
بأسرارهم " (ص 19).
2. " يشكّكون بأصلك
كأنّك علكة
أو ملعقة شهد " (ص 31).

وتذكّرني تلك " العلكة " بما ثار من نقاش حول " وشربت شاياً في الطريق " التي اجترحها الشاعر المصري صلاح عبد الصبور ، فأثارت الاستهجان والاستهزاء في حينه ، ولكنها لقيت أيضاً من الاهتمام ما مهّد الطريق لاستعمال المفردات اليومية في الشعر العربي ، ومهّدت لتحقيق الانتصار على لغة القاموس ، التي كانت سائدة متسلطة آنذاك .

3. " ورثنا كل شيء
حتى الابتسامة الصفراء
في الزمن النحاسي " (ص 51).
4. " جرّديني من أيّ شيء
واتركي لي قلمي
فأنا من دونه

طفل يتلعثم بالكلمات " (ص 62).

ويظلّ أن أضيف أنني توقّفت عند الإيجابي في باكورة أخي سهيل عيساوي ،وأنني فعلت ذلك لأن ذلك الإيجابي قد زاد في كتاباته التالية ، الأمر الذي يوضح لنا أنه يتقدّم .

إنّ من يتقدّم ببطء ، وإلى الأمام ، يقال له بثقة أكيدة : إلى الأمام .

بانوراما 23 / 7 / 1999

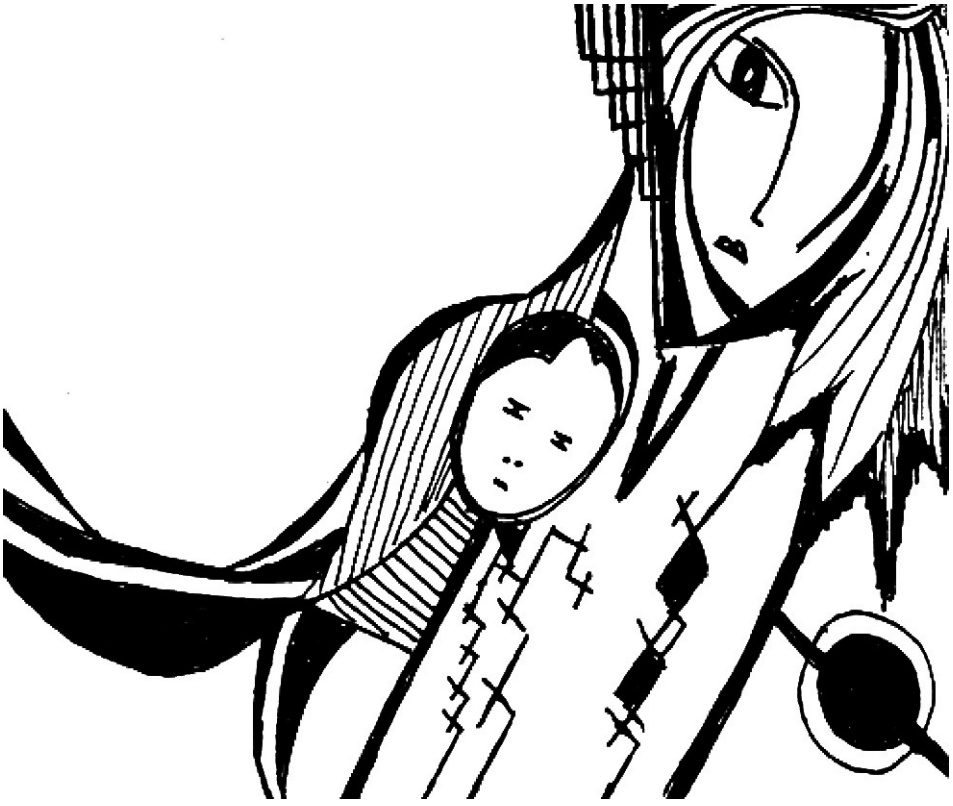

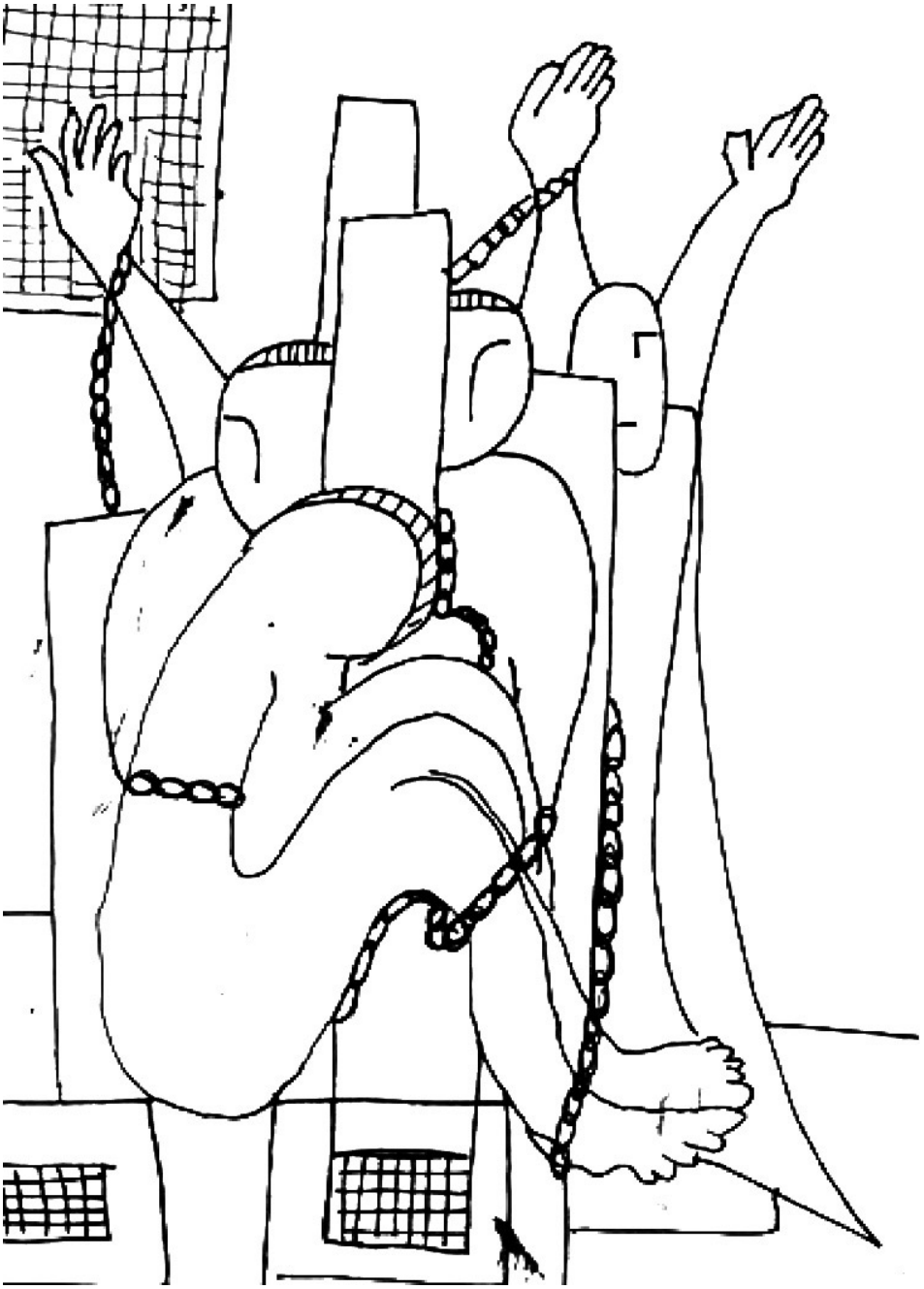

خاتمة

لقد حاولت في هذه القراءة ، أن أقدم صورة- ولو مقتضبة- عن شاعر فلسطيني، معاصر، حداثي... عايش بعض الأحداث التي كان لها أثر كبير على الخارطة السياسية في منطقة الشرق الأوسط.

وقد بينت بعض الجوانب المشرقة في شعرهن في مجموعته(قصائد تغازل الشمس)، ورغم أنني لم أوفيه حقه كله...

وقد توصلت إلى أن هذا الشاعر المتميز، رغم غلبة التاريخ عليه، وغلبة البحث التاريخي على منهجه، فهو شاعر يعشق الكلمة. وشاعر يكتب بالصورة، بعيدا عن كل موروث، أو قيد لغوي...

إنه متحرر في لغته، وفي رؤياه الشعرية... ولذا جاءت لغته بسيطة في طرحها، ولكنها عميقة في صورها، ومعانيها، ودلالاتها.

وهذه نظرة فنية ميزت تجربته الشعرية، ونظرته للشعر والحياة...

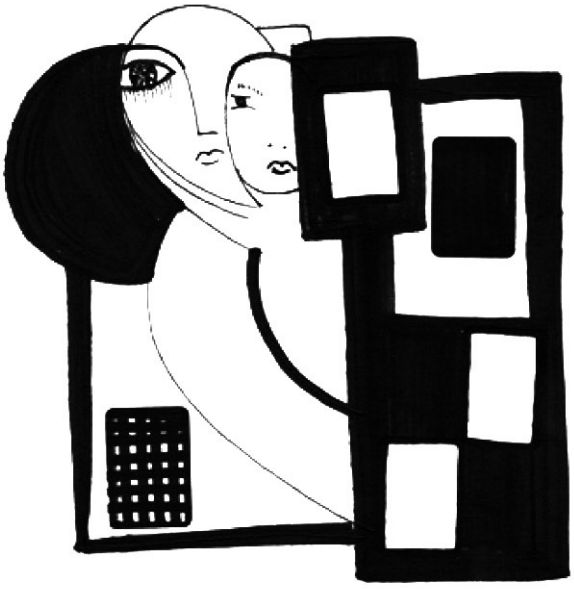

المراجع المعتمدة

- نبيل منصر، الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط2007، 1.
- Gérard Genette، Seuils، collection poétique، seuil، Paris، 1987.
- Lio Hock : La marque du titre، mante، éditeur lalaye، Paris /New York، 1981
- علي آيت أوشان، ، الذاكرة والصورة، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2005..
- الغزالي، (عبد القادر)، الصورة الشعرية وأسئلة الذات، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 2004.
- فاطمة الزهراء شلبي، النزعة الوطنية الثورية وأساليبها الفنية في القصيدة العامية، بحث لنيل شهادة الماجستير في الأدب الحديث، تخصص شعبي، تحت إشراف الدكتور معمر حجيج، س- ج: 2006/ 2007، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر.
- حسن محمد حماد، تداخل النصوص في الرواية العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1988.
- نافع، (عبد الفتاح)، جماليات اللون في شعر ابن المعتز، مجلة التواصل، 4 جوان(يونيه) 1999.
- ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تحقيق ، د. عبد العزيز بن ناصر المانع، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، 1985.
- أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تحقيق، علي محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا ، بيروت، 1986.
- الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1985، ج1.
- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق، محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، 1966
- د. غنيمي هلال، (محمد)، النقد الأدبي الحديث، دار الثقافة، بيروت، 1973
- إبراهيم، (عبد العزيز)، شعرية الحداثة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005
- س.م.بورا، التجربة الخلاقة، ترجمة، سلافة حجازي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد
- محمود السرساوي، مجلة الموقف الأدبي، العدد 424، آب 2006).

- (الحكيم، (توفيق)، فن الأدب(نظرية الشعر)، ج5، منشورات وزارة الثقافة السورية
- (د. غسان غنيم، مجلة الموقف الأدبي، ع 406، شباط 2005).
- أحمد بلحاج آيت وارهام، المشكاة، عدد 46، المجلد 12، 2005
- د. ابراهيم السامرائي، لغة الشعر بين جيلين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، 1986
- عبد العزيز إبراهيم، شعرية الحداثة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005
- جون كوهين، بنية اللغة الشعرية، ترجمة: محمد العمري، و محمد الولي، دار توبقال ، الدار البيضاء، 1986
- د.ساعي، (أحمد بسام)، حركة الشعر الحديث في سورية من خلال أعلامه، دار المأمون للتراث، دمشق، ط1 ، 1978،
- الجاحظ، الحيوان، تحقيق، عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1948، ج: 3
- د. علي عباس علوان، تطور الشعر العربي الحديث في العراق، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (د- ت)،
- د. صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1987
- د. ناصر الحاني، المصطلح في الأدب الغربي، منشورات دار المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1968
- محمد علي كندي، الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، مارس 2003،
- عبد الوهاب البياتي، تجربتي الشعرية، - ملحق بالديوان-دار العودة، بيروت، 1972
- جابر عصفور، أقنعة الشعر المعاصر، مجلة فصول، العدد 4/ 1984
- ستانلي هايمن، النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ترجمة إحسان عباس وآخر، دار الفكر العربي، القاهرة، (د- ت)
- علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، 1978
- إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1992
- صلاح فضل، أساليب الشعرية المعاصرة، دار الآداب، بيروت، 1995،
- بنيس، (محمد)، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب: مقاربة بنيوية تكوينية، دار التنوير، ط1،

1985،
- غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة، غالب هلسا، المؤسسة الجامعية لدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة 2، 1984
- هي فاطمة الزهراء، جمالية الرمز في الشعر الصوفي: محيي الدين بن عربي نموذجا، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي الحديث، تحت إشراف الدكتور محمد مرتاض، س-ج: 2006، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر).
- بابير، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، ترجمة زكرياء إبراهيم، دار مصر للطباعة
- شارل لالو، مبادئ علم الجمال، ترجمة، مصطفى ساهر، 1959

المحتوى

الموضوع . . . . . **الصفحة**
- الإهداء 3
- مقدمة 4

- **الفصل الأول**: سهيل عيساوي ، التموقع 5
1. مدخل 6
2. من هو سهيل عيساوي؟ 8
3. مؤلفاته 9

- **الفصل الثاني**: دخول عالم (قصائد تغازل الشمس) 11
- تمهيد 12
1. التحليل السيميائي.....12
2. المصاحب النصي.....13
2 .1. علامات الناشر 13
2. 2. اسم المؤلف.....15
2. 3. العنوان 15
2. 4. الإهداء كنص مواز.....17
2. 5. عتبة المقدمة.....18
2. 6. عتبة اللوحة والرسم.....19
2. 7. لون الغلاف.....21
2. 8. علامات الترقيم.....22
2. 9. لعبة السواد والبياض.....23
3. التجربة الشعرية لدى سهيل عيساوي.....25
4. الرمز في شعره 30

-1 الرمز الديني 31
-2 الرمز التاريخي 32
-3 الغزل في شعره 38
-4 النزعة الإنسانية في شعره 44
-5 الرؤية اللغوية عند سهيل عيساوي 48
-6 الصورة الشعرية عنده 51
-7 التعبير عن الجرح العربي، ومأساة العراق 55
-8 تقنية القناع في شعره 60
-9 دلالة المكان في شعره 63
-10 الجمالية في شعره 67
1. البناء الروائي في قصائده 68
2. الوعي الجمالي 71
3. التمسك بالشكل الفني الحداثي 71
4. الثورة على القديم وأساليبه 72
5. توظيف بعض الأساليب البلاغية واللسانية 72
-11 موضوعة الحزن وبنية الثنائيات 74
1. البنية الانفعالية 74
2. البنية السياسية 75
3. البنية التاريخية 76
- **الفصل الثالث**: ما قيل عن سهيل عيساوي 79
1. نوعية النص في نتاج الشاعر سهيل عيساوي(غسان حاج يحيى) 80
2. مسك الخواتم (مصطفى مراد) 93
- **خاتمة** 91
- **المراجع المعتمدة** 92